

للداعية

محمد بن عبدالرحمن السقاف






فاطمة
أُمُّ أَبِيهَا





الطبعة الأولى

٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ

اسم الكتاب	فاطمة أم أبيها .. رضي الله عنها
تأليف	محمد بن عبدالرحمن السقاف

عدد الصفحات	٩٦	قياس القطع	١٤.٨×٢١

اعتنى بخدمته

مكتب النور

alnoortarim@gmail.com

تصميم فني وإخراج	عمر محمد باحماله






بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الحبيب العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

الحمد لله جاعل ذكر احبته من اقوى اسباب محبته
وصلى الله وسلم على امام اهل حضرته عبده وحبيبه
وصفوته سيدنا محمد وعلى ابنته سيدتنا فاطمة الزهراء
بضعته وآله وعترته وصحابته واهل مودته
اما بعد فقد داهم كثيرا من المسلمين في شعورهم
واحاسيسهم ميل والتفات الى البعيدين عن الله
تعالى وربما تجاوز ذلك الى المودة والمحبة والتعظيم
فكان ذلك من اقوى اسباب البعد عن الله عز وجل
وضعف الايمان وانحراف السلوك وقد استدرجوا
الى ذلك بما بث من لفت الانظار الى الفساق
واستلال التعلق القلبي باصفياء الله وائمة
دينه فوجب على كل عاقل مؤمن يهمه
امر دينه وآخرته ولقائه ربه ان يقطع
مادة اضعاف الايمان والميل الى اهل
الفسوق والعصيان وان يحرص على استجلاب
أسباب اليقين ومعرفة الحقيقة والقرب من
رب الخليقة ومن اقوى ذلك ذكر اخبار
ومناقب الصالحين والعباد المقربين
ومن اجلهم بضعة سيدنا الرسول

فاطمة الزهراء البتول وقد كتب السيد الموفق
الداعي إلى الله محمد بن عبد الرحمن بن علوي السقاف هذا
الكتاب النافع المفيد عن مناقب سيدتنا فاطمة
وأخبارها وانصبغ مع ما فيه من الفوائد العلمية
والجمع لما تفرق في كتب السيرة بصبغة العاطفة
والمحبة والمودة والولاء فيكتسب القارئ بذلك
عددا من المنافع العلمية والإيمانية والرابطة القلبية
والصلة الروحية فبارك الله فيما كتبه وجمعه
وضاعف النفع به والأجر لمن قرأه أو سمعه
أو صوره أو طبعه وأحيى في الأمة ما مات من عواطف
الإيمان مع أحباب الرحمن

عمر بن محمد سالم بن حفيظ

١/٣/١٤٣٨هـ
٣٠/١١/٢٠١٦م

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي سبقت إرادته باختياره لبعض عباده، فرفع لهم المقدار، وأنزلهم منزلة القرب منه سبحانه وتعالى في الدنيا وفي دار القرار، وصلى الله وسلم على حبيبه المصطفى المختار، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومَن على دربهم سار، إلى يوم نلقى الملك الغفار، وجعلنا الله سبحانه وتعالى مِن أولئك الأخيار الذين يصطفيهم ويقربهم ويجتبيهم بمحض منِّه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

أمّا بعد : فمنذ زمن وأنا لا زلت أفكر في ما يمكن أن أقدمه .. لزوجتي وابنتي وأختي، بل ولأخواتي المسلمات، وللأمة الإسلامية أجمع مِن الهدايا والتحف، فوجدت أن خير ما يمكن أن أهديه إليهم هو تذكيرهم بسيرةِ مَن خصها الله سبحانه وتعالى مِن بين النساء بالسيادة، وجعلها قدوة للمؤمنات والمسلمات إلى يوم الدين.. ألا إنها الزهراء البتول، بضعة الرسول التي خصها الله سبحانه وتعالى بالمنزلة العظمى، وهي أم الرجال الفحول، التي طالما قَرأتُ سيرتها، وسمعتُ أخبارها، وكلما مررتُ على شيءٍ مِن سيرتها حرَّكتْ في فؤادي شجناً، وشعرتُ

بحنينٍ، فربما وقفتُ عند موقفٍ مِن مواقف أخبارها وسيرتها متأملاً حتى تفيض العين، أو حتى يسكن القلب، لما في أخبارها مِن شئون عظيمة، ومن آداب كريمة، ومن توجيهات اتصلت بأصلِ ديننا ومنهجنا الذي بعث الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ويكفينا أن نعرف عَن فاطمة الزهراء أنها بنتُ مَن؟ و زوجة مَن؟ وأُمُّ مَن؟ عليها رضوان الله تعالى .

فضائلها رضي الله عنها :

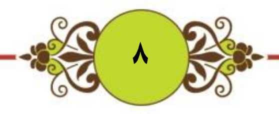
وقد ورد في فضائلها الكثير.. فقد جاء عَن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فاطمة بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»[(١)] .

وقد جاء في إشارةٍ عظيمةٍ من أبيها صلى الله عليه وسلم إلى رفيع رتبتها وعلو منزلتها عند الله ، قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥/ ٢١/ ٣٧١٤) دار طوق النجاة – ط١/ ١٤٢٢هـ

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن علي بن أبي طالب، باب ومن مناقب فاطمة رضي الله عنها (٢٢/ ٤٠١/ ١٠٠١) مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط/ ٢



وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وفَاطمة سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ»[٣]

وجاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين»[٤].

وجاء كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ مَلَكًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ زَارَنِي، فَاسْتَأْذَنَ الله فِي زِيَارَتِي فَبَشَّرَنِي، أَوْ أَخْبَرَنِي أَنَّ فاطمة سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي»[٥] عليها رضوان الله تعالى .

ولما بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وهو مِن جنس الرجال جعل الله سبحانه وتعالى أول مَن يتقبل هذه الدعوة

ورواه الحاكم في مستدركه عن علي أيضا ، باب ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله (٣/ ١٦٧/ ٤٧٣٠) الناشر: دار الكتب العلمية – ط١ / ١٤١١ – ١٩٩٠ وقال «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» قال الذهبي في تلخيصه : بل حسين بن زيد منكر الحديث

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ، مسند أبي سعيد الخدري (١٨/ ١٦١/ ١١٦١٨) مؤسسة الرسالة – ط١/ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة، باب من ناجى بين يدي الناس (٨/ ٦٤/ ٦٢٨٥) دار طوق النجاة – ط١/ ١٤٢٢هـ

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي هريرة ، باب (ومن مناقب فاطمة بنت رسول الله (٢٢/ ٤٠٣/ ١٠٠٦) دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط ٢

مِن جنس النساء خديجة بنت خويلد، ثم إن الله سبحانه وتعالى جعل اتِّباع سيدنا محمدٍ هو أصلُ الخير كلِّه، وهو سببُ نيلِ محبته سبحانه وتعالى، قال الله تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] . فإذا قالت بعض النساء : كيف نتبع رسول الله في بعض الشئون التي هي مِن خاصة النساء، والنساء لا يستطعن أن يتشبهن فيها به، قلنا : إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم النساء بمشابهة للنبي صلى الله عليه وسلم إذا شابهوا بضعته، لأنه عليه الصلاة والسلام قال «فاطمة بَضْعَةٌ مِنِّي »[٦] أي أنها قطعةٌ منه لا تنفصل عنه أبدا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فإذا تشبَّهت المسلمة بفاطمة فإنها قد تشبَّهت بعينِ سُنة المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ونالت بذلك الأجر العظيم .

---

(٦) سبق تخريجه .





ولادتها رضي الله عنها :

ولدت السيدة فاطمة في ذلك البيت العظيم بمكة؛ إنه بيت الأمين وبيت الصادق.

فأما أمها فهي سيدتنا خديجة بنت خويلد عظيمة الشأن، كريمة الخلق ، وهي سيدة نساء مكة شرفاً وكرماً وعفةً ورفعة.

وأمّا أبوها فهو الذي عرفته قريش بأنه الصادق الأمين، و أنه أنهل شبابها وأفضلهم وجها وسمتاً وأخلاقا ووصفاً صلى الله عليه وسلم، وأمّا أخواتها فزينب ورقية وأم كلثوم ..

هذا هو البيت الذي ولدت فيه فاطمة الزهراء فكانت آخر أبناء خديجة بنت خويلد وآخر بناتها.

ولدت قبل بعثة النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم بخمسة أعوام في حادثةٍ عظيمة، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن لا ينسى الناسُ ولادةَ هذه المولودة الكريمة، فإنها قد وُلِدت في اليوم الذي جدَّد فيه أهل مكة بناء الكعبة(٧).

---

(٧) انظر عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، باب في بيان مناقب فاطمة رضي الله عنها (١٦/ ٢٤٩/ ٩٢) دار إحياء التراث العربي – بيروت

و هنا لطيفة جميلة نقفُ عليها وهي أن الله سبحانه وتعالى جعل ولادة فاطمة في اليوم الذي جُدِّدَ فيه بناء البيت، لأن فاطمة هي أم أهلِ البيت، فهذا بيت الله سبحانه وتعالى في الحرم يُبنى، وهذه فاطمة بنت محمدٍ التي سيخرج منها نسل النبي وأهل بيته تولد.

ففي هذا الوقت برز وتجدد وظهر بيت الله سبحانه وتعالى وهو الكعبة، وظهرت كذلك فاطمة التي حملت بأهل بيت النبوة صلى الله عليه وعليهم أجمعين ..

فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فرحاً شديداً، مع أنها كانت الرابعة من بناته، وكان العرب يكرهون البنات بل كان أحدهم إذا وُلِدت له بنتٌ اسودَّ وجهه وتوارى من القوم، وكثيرا منهم من كان يئد بنته ويدفنها في التراب حية حتى تموت مِن أثر قسوة القلوب.

وهذا النبي صلى الله عليه وسلم في داخلَ هذه الأجواء الجاهلية تولد له البنت الرابعة فيفرح بها فرحاً عظيما ويقول لخديجة: (يا خديجة أنها نسمةٌ طيبة ، إنها نسمةٌ مباركة) ، وكان صلى الله عليه وسلم يحملها ويقبلها ، وتفرح بها خديجة فرحاً عظيماً وتحبها محبة كبيرة ؛ لأنها لما ولدت نظرت إليها خديجة فإذا هي أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم،

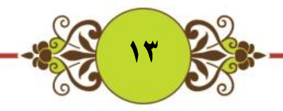
فرأت أن في ذلك علامة وإشارة على أنها ستكون لها مكانة عظيمة، فازدادت محبتها لها عليهم رضوان الله تعالى أجمعين .

كان البيت الذي نشأت فيه السيدة فاطمة قبل البعثة بيتُ عفة و كرم وأخلاق، قالت السيدة خديجة : لما نزل الوحي على رسول الله فدخل عَلَيَّ وهو يقول زملوني زمِّلوني، فزملتُه حتى إذا ذهب عنه الروع قلت له : (وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)[٨] .

فهذا الرسول الذي كان يحمل هذه الشمائل الكريمة والصفات العظيمة من قبل البعثة ، وهذه خديجة التي لم يعلم عنها في مكة إلا كل خير .. عفةً وشرفاً وأخلاقاً وكرماً، و بناتها في ذلك المنزل كنَّ على خلقٍ كريمٍ وأدبٍ عظيمٍ فقد تأدبنَ بأدب هذين الأبوين الشريفين الكريمين ، فنشأت السيدة فاطمة في هذا الوقت وتأثرت بهذه الأخلاق وانطبعت فيها تلك المكارم.

قال بعضهم : اختص الله سيدتنا فاطمة بأن جعل ولادتها في هذا الوقت حتى تعايش وتعاصر بعثة أبيها صلى الله عليه وسلم من نعومة

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (١/ ٧/ ٣) دار طوق النجاة – ط١/ ١٤٢٢هـ



أظفارها، فتشب وتكبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع شباب وكبر هذا الدين وانتشاره، فهي التي لازمته ورافقته طفولةً وشباباً حتى توفي عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولما كانت في الخامسة من عمرها نزل الوحي على أبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونال بذلك الشرف العظيم وتحوَّل هذا البيت إلى حالةٍ أعظم وأجل ، وخصها الله سبحانه وتعالى بعناية مِن أبيها، فلقد كان عليه الصلاة والسلام يشير إلى كثير مِن فضائلها حتى في اختيار اسمها.

اسمها ولقبها رضي الله عنها :

وقد قيل أن الله سبحانه وتعالى ألهم رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسميها فاطمة وقيل أنها سميت بذلك لأن الله فطمها من النار ...

كانت رضوان الله تعالى عليها محبوبة محبّبة، تعلَّق قلب النبي صلى الله عليه وسلم بها وتعلَّق قلب أمها بها، حتى أن خديجة كانت كلما أنجبت مولودا أرسلته إلى بعض المرضعات كما هي عادة العرب وعادة

قريش إلا فاطمة فإن خديجة قد تولت رضاعتها بنفسها[٩] لما رأت مِن محبة رسول الله لها شبهها به ، ولأنها كانت آخر العنقود مِن عيالها، وكانت الصغيرة فحظيت بعناية وبرعاية خاصة.

وهي كذلك (الزهراء) قيل لأن لونها كان أزهراً .. فقد كانت زهراء اللون أي أنها بيضاء مشربة بحمرة، وقيل أنها كانت تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض.

وسميت كذلك (بالبتول) لأنها كانت منقطعة في العبادة، أو لأنها كانت منقطعة عَن أهل زمانها فلا يقاربها أحد من النساء شرفاً ولا منزلةً ولا رفعةً ولا كرامةً.

وسميت بأسماء كثيرة – وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى– فمن أسمائها الصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية، وكُنِّيَتْ بِأُمِّ أبيها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن توفيت السيدة خديجة قامت السيدة فاطمة من صغرها على رعايته و تجهيز حاجاته و خدمته ليلاً ونهارا حتى آخر أيامه صلى الله عليه وسلم ولا زالت فاطمة

(٩) انظر السيرة النبوية لابن كثير ، باب ذكر زوجاته صلى الله عليه وسلم (٤/ ٦٠٨) دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م

تقوم بشئون أبيها صلى الله عليه وسلم فكنيت (بأم أبيها)[١٠] ، وكفاها بذلك شرفا و منزلة عليها رضوان الله تعالى .

صفاتها الخُلقية والخَلقية رضي الله عنها :

كانت أشبه الناس برسول الله، تقول السيدة عائشة أم المؤمنين : (ما رأيت أحدا أشبه سمتاً ودَلّاً وهدياً برسول الله في قيامه وقعوده مِن فاطمة بنت رسول الله عليها رضوان الله ، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت مِن مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها)[١١].

وعَن أنس بن مالك قال (لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنه)[١٢].

---

(١٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث مصعب بن عبدالله، باب ذكر سن فاطمة رضي الله عنها (٢٢/ ٣٩٧/ ٩٨٥) مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط٢

(١١) أخرجه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، باب ما جاء في القيام (٤/ ٣٥٥/ ٥٢١٧) المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

(١٢) انظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، للمؤلف صهيب عبدالجبار، باب الحسن والحسين (٩/ ٩٤١) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

وكذلك تقول السيدة عائشة (ما رأيت أحدا أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة) [١٣]. فهي عليها رضوان الله تعالى أجمل الناس صورة لأنها أشبه الناس بأجملهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

كانت لها المنزلة الخاصة عند أبيها عليه الصلاة والسلام . وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يشير إليها ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا رَسُولَ الله، أَيَّما أَحبُّ إِلَيْكَ: أَنَا أَمْ فاطمة؟ قَالَ: «فاطمة أَحَبُّ إِلَيَّ منْكَ، وَأَنْتَ أعَزُّ عَلَيَّ منْهَا،» [١٤] وقال «أَحَبُّ أَهلي إليَّ فاطمة» [١٥]

وسئلت السيدة عائشة أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحبَّ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: فاطمة، فَقِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَتْ: زَوْجُهَا) [١٦]

وقال صلى الله عليه وسلم «فاطمة بضعةٌ مني يقبِضني ما يقبِضها

---

(١٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، باب ذكر أخبار المصطفى (١٥/ ٤٠٣/ ٦٩٥٣) مؤسسة الرسالة / ط٢/ ١٤١٤ - ١٩٩٣

(١٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن علي بن أبي طالب (٧/ ٣٤٣/ ٧٦٧٥) دار الحرمين – القاهرة، وقال الهيثمي ((قَالَ الهيثمي رِجَاله رجال الصَّحِيح))

(١٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أسامة بن زيد ، باب ومن مناقب فاطمة رضي الله عنها (٢٢/ ٤٠٣/ ١٠٠٧) مكتبة ابن تيمية – القاهرة - ط٢

(١٦) رواه الترمذي عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ التَّيْمِيِّ، باب ما جاء في فضل فاطمة (٦/ ١٨٤/ ٣٨٧٤) دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨ م - قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنسابَ يومَ القيامَةِ تنقطع غير نَسبِي وسَببِي وصِهري»[(١٧)] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

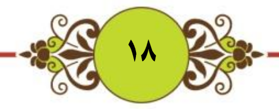
وكم ورد في فضلها وفي حُبِّ أبيها وتخصيصه لها صلى الله عليه وسلم كما سنرى ذلك في شمائلها و أخبارها و سيرتها عليها رضوان الله.

نشأتها رضي الله عنها :

مرت الأيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي داخلَ بيته فتتعلم منه خديجة وتتعلم الفتيات وتتعلم فاطمة من نعومة أظفارها العبادة والإقبال على الله سبحانه وتعالى والذكر ومعنى المعاملة مع الرب جل جلاله وتعالى في عظمته، وتترقى في هذه المعاني من سن متقدم وصغير حتى لما كان عمرها سبع سنوات أمر الله حبيبه صلى الله عليه وسلم بالبلاغ، ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] وأمره أن ينذر عشيرته ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقام صلى الله عليه وسلم ليظهر هذه الدعوة وكان لفاطمة وهي في هذا السن الصغير مضرب المثل في نصرة هذه الدعوة حتى أنه صلى الله عليه وسلم

---

(١٧) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبيد الله بن أبي رافع، عن المسور ، باب مناقب فاطمة بنت رسول الله (٣/ ١٧٢/ ٤٧٤٧) دار الكتب العلمية – بيروت – ط١/ ١٤١١ – ١٩٩٠



نادى في قريش قائلاً : «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا» (١٨).

تعجب البعضُ كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم وجّه الخطاب لقريش ثم لخاصته مِن أعمامه وهو عمه وعمته ثم وجه الخطاب لهذه الصبية الصغيرة في السابعة من عمرها ؟؟ وما ذاك إلا لأنه يعلم بتخصيصها وبمكانتها وبمعرفتها وبحسن تقبلها له صلى الله عليه وسلم.

فماذا كان ينازل قلب الزهراء وهي طفلة صغيرة عندما تسمع أباها صلى الله عليه وسلم وهو يخصها بهذا الخطاب؟ لا شك أن هذا كان يحرك في قلبها شئونا عجيبة وكأنه صلى الله عليه وسلم يحملها أمانة ثقيلة ويخصها برعاية خاصة عليه الصلاة والسلام.

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين (١/ ١٩٢/ ٣٥١) دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ولأنها كانت طفلة صغيرة عليها رضوان الله تعالى كانت تتبع النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً وتمشي خلفه في طرقات مكة، ولأن قريشا قد ناصبوه العداء وقاموا له بالمرصاد كانت تخاف على أبيها عليه الصلاة والسلام.

ولقد رأت مِن المناظر ومن المشاهد ما جعلها في مكانٍ ليس بمكان الأطفال والصبيان..

كيف ترى هذه المشاهد في هذا السن فتتحمل؟ ..

نبتت فاطمة نباتاً حسناً واشتد عودها وتحلت بصفات الإيمان الكبرى لأنها عاشرت الابتلاءات العظيمة في زمن الطفولة، فتكونت شخصيتها بوصفٍ قوي وحَسَنٍ يُمَكِّنُها مِن أن تؤدي حق الأمانة والتربية لأولادها بعد ذلك، فلقد خرجت في مرةٍ من المرات - ولنا أن نتصور هذه البنت رقيقة القلب لينة العريكة، المحِبة، صاحبة الإحساس المرهف التي تربت في ذلك المنزل العجيب الذي تملأه المشاعر وتكتنفه المعاني - تخرج خلف أبيها صلى الله عليه وسلم وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد عند الكعبة فيأتي أشقى القوم عقبة بن أبي معيط فيطأ رقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه ثم يقوم بخنق النبي صلى الله

عليه وسلم بردائه، حتى كادت عينا رسول الله أن تبرزان مِن شدة ذلك الخنق، فأقبل الصديق وأخذ يدفع هذا، ويسحب هذا، ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله[١٩]، وفاطمة ترى هذا المظهر وتدعو على هؤلاء الذين يؤذون أباها صلى الله عليه وسلم، وتحاول أن تأخذ بيده، فأقبل الناس يضربون أبابكرٍ وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت فاطمة بيد أبيها ورجعت معه إلى البيت وهي حزينة.

ماذا كان ينازل قلبها في ذلك اليوم؟ ..

هذا الذي لم يكن منه إلا الإحسان..

هذا الكريم ..

هذا الصادق الأمين..

هذا الذي كان أهل مكة كلهم يتكلمون عَن أخباره وأحواله ..

هذا الذي حل مشكلة وضع الحجر الأسود في الكعبة فنجَّا قريشا مِن الهلاك والصراع والقتال..

واليوم ما بال الناس يصنعون به هكذا؟!

وهو لا يحمل لهم إلا المحبة..

---

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص ، باب (ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم) (٥/٤٦/٣٨٥٦) دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

فأخذت المشاعر تتصادم في ذلك القلب وفي تلك النشأة في زمن الطفولة الذي لا يعرف الأطفال فيه إلا البسط واللعب ، فإذا بها تنمو بهذه الأحاسيس وتبدأ تشعر بالحزن على أبيها صلى الله عليه وسلم، ويرجع عليه الصلاة والسلام فيلتحف في بيته وتجلس بجانبه فاطمة، لا تعرف ماذا تقول وبماذا تتحدث، قد ألجمت مِن ذلك المظهر الذي نازلها والذي حصل لأبيها.

يرجع فتقوم خديجة بنت خويلد تسمح عن وجهه آثار الضرب وتسأله عن ما جرى فيخبرها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

جاء عن ابن مسعود أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمدٍ إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية،

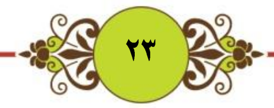
فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: «اللهم، عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم، عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» فو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى قليب بدر »[٢٠] .

خرجت مرةً مِن المرات فوجدت القوم يأتمرون، ولكن هذه المرة يبدو أنهم يريدون شيئا أكبر، ليس وضع سلا وليس مجرد لحوق الأذى بل إنهم يفكرون في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت فاطمة هذه الأخبار وهذا الكلام يدور أسرعت تجري حتى دخلت إلى البيت فعانقت أباها صلى الله عليه وسلم فوجد وجها منتقعا فسألها : ما بالك يا ابنتي ؟

قالت : يا أبتاه إن القوم يأتمرون ويقولون ويقولون.

---

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ١٤١٨/ ٣٥١) دار إحياء التراث العربي – بيروت .



فقال لها : لا عليك يا بنيتي والله إن الله لمانع أباك ، قُومي معي فخرج صلى الله عليه وسلم متوجهاً بقلب صادق إلى الله حتى إذا دخل الحرم والناس مجتمعون أقبل فدعا الله سبحانه وتعالى وصلّى فلبث رجال قريش في أماكنهم مما نازلهم مِن هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أتم صلاته ورجع إلى البيت اطمأنت فاطمة الزهراء وسكن خاطرها وعرفت أن أباها مرعي برعاية الله، وأن الله يكلؤه ويرعاه، وأنه لن يسلمه لهؤلاء أن يفعلوا به إلا ما أراد الله مِن أمورٍ مِن البلاء يحب أن يرفع بها منزلة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وكان رسول الله يتلقى الأذى مِن أقرب الناس . فقد كان عمه أبو لهب وزوجته أم جميل يؤذون رسول الله، وكانت فاطمة إذا خرجت مِن المنزل تجد الشوك على الباب وتجد القاذورات والقمائم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعد ذلك ولا يتكلم يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة ولا زالت البنت ترى ذلك الصبر مِن أبيها الصابر المثابر المجاهد الشاكر الذي لا يخرج مِن لسانه إلا الخير ولا يحمل في قلبه إلا الخير، فتعلمت فاطمة الرحمة مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عاودت المشاكل تلك الأسرة العظيمة عندما قالت أم جميل زوجة أبي لهب لولديها : رأسي من رأسيكما حرام إن أبقيتما بنتا محمدٍ عندنا ، وكان عتبة وعتيبة ابني أبا لهب قد تزوجا مِن بنات النبي صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم فطلقاها فإذا أم كلثوم ورقية وهما بنتان شابتان جميلتان تعودان إلى البيت وقد انكسرت الفرحة ..

كيف يكون حال البنت عندما تتزوج ولا تفتأ أن تفرح بهذا الزواج حتى تطلق ؟ ..

بأي ذنب ؟ ..

بلا ذنب أذنبته ولا عمل عملته إنما هو التعنت، إنما هي الجاهلية.

رجعت أم كلثوم ورقية إلى بيت رسول الله وحصل الحزن.

فاطمة الزهراء ما أن فرحت بأخواتها في زواجهن وزفافهن حتى رجعن إليها في تلك الحجرة.

ماذا كان يتحرك في فؤادها مِن الحزن والشفقة وهي ترى أخواتها قد عُدن من الفرحة بحزن وانكسار؟ عليهن رضوان الله تعالى .

أما بالنسبة لزينب فقد تزوجها أبو العاص بن الربيع وحاولت قريش أن تقنعه بطلاقها ولكنه لم يرض وأعرض عنهم وما رضي أن يفارق زينب فقد كان يحبها وكانت تحبه.

لما بلغت الزهراء العاشرة مِن عمرها جاءت الهجرة إلى الحبشة، لأن الحال قد اشتد بالمسلمين في مكة، و رسول الله قد زوج عثمان بن عفان من بنته رقية، فكان عثمان بن عفان مِن أول المهاجرين إلى الحبشة ومعه رقية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن عثمان أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط»[٢١]، فنالت رقية هذه الرتبة.

كم عانى رسول الله وأهل بيته ، فقد كانوا في مقدمة الامتحانات والمواقف الصعبة، فأول المهاجرين كانت بنته صلى الله عليه وعلى آله، وكذلك في جميع مواقف السيرة النبوية نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم نفسه وقدم أهله لله سبحانه وتعالى وفي سبيله.

رجعت رقية من الحبشة عندما قرأ النبي سورة النجم على قريش فسجدوا وظن الناس أن قريشاً قد أسلمت فعاد المهاجرون وما أن

(٢١) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك ، باب سن عثمان ووفاته (١/ ٩٠/ ١٤٣) مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط ٢



فرحت فاطمة بعودة أختها رقية وعانقتها حتى رجعت فهاجرت مرة أخرى إلى الحبشة.

ولا زال هذا البيت في هذه الحركة، هذه تسافر ثم تعود وهذه تزوج وهذه تطلق، ولا زالت الامتحانات تتوالى ورسول الله جبلٌ شامخٌ لا يتزعزع ولا يتراجع، فلم يترك ليلةً من لياليه بل ساعة من ساعاته إلا وقد بذلها لله سبحانه وتعالى في علاه.

حصار الشعب :

الزهراء تكبر وتبلغ سن الثانية عشرة، وفي السنة السابعة من البعثة إذا بأهل مكة يتفقون على رأي واحد خبيث .. لقد أجمعوا أن يكتبوا كتاباً يتعاهدون فيه على أن يحاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب، فحاصروه ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب ومعه بنو هاشم وبنو المطلب المسلم منهم وغير المسلم، حيث اتفقوا على مقاطعتهم وأن لا يبتاعوا منهم ولا يشتروا، فاشتد بهم الحال وعظم الكرب .

ورسول الله ومعه خديجة بنت خويلد التي كانت قبل أيام هي أغنى أغنياء مكة على الاطلاق، فقد قيل أن مالها كان يعدل مال قريش كله، ها هي الآن في الحصار في شعب أبي طالب.

وقد حصل ما حصل .. لقد جاعوا جوعاً عظيما..

كانت تمر بهم الليلة والليلتان لا طعام ولا مأوى، حتى بلغ بهم الحال أنهم أكلوا من أوراق الشجر.

لم يكن الحصار أسبوعا أو شهرا بل استمـــر قرابة الثلاث سنوات ..

كانت فاطمة في الثانية عشرة من عمرها تسمع بكاء الصبيان وتمر على أمها فتجدها في شدة الجوع وهي تخفف آلام أبيها. وتتقوى خديجة تريد أن لا تري رسول الله من نفسها ضعفا حتى لا يحزن عليها، وتريد أن تعينه على حمل رسالته ورسول الله صلى الله عليه وسلم صابر.

إذا سكن أهل مكة وهدأت العيون وأظلمت الدنيا سمع أهل مكة صياح الأطفال وبكاءهم من شدة الجوع، لا شربة لبن ولا لقمة طعام ولا كسرة خبز.

ويشتد الحال بفاطمة هي وأختها أم كلثوم لأن زينب كانت مع زوجها، ولأن رقية كانت في الحبشة، وكانت فاطمة وأم كلثوم في داخل ذلك الحصار اشتد بهم الحال حتى تقرحت أشداق فاطمة وغارت بطنها والتصقت بظهرها وبلغ منها الجهد ما بلغ، ومرضت خديجة فكانت تمرضها فاطمة هي وأم كلثوم ..

كم وقفت فاطمة في الليل وأمها في شدة مرضها تراعيها وتلاطفها..

كم شاهدت مشاهداتٍ عجيبة مِن الأخلاق..

تتعلم من هذه الأم معانٍ كريمة ليت النساء يتعلمنها اليوم فيرتفعن إلى الدرجات العظيمة..

تجلس فاطمة مع أمها وهي تعاني شدة الألم لا تستطيع أن تتكلم ولا أن تتحرك، فإذا أقبل رسول الله وأحست خديجة به قامت وتحركت وتنشطت وسترت مرضها حتى لا تريد أن يرى رسول الله شيئا من تعبها فيقع في نفسه شيء من الحزن أو القلق عليها، أو أن تحمِّله فوق ما هو متحمل، وفاطمة ترى هذا المنظر وتتعلم من أمها هذه المحبة الجياشة الفياضة .

هذه المحبة التي ما عرفت الدنيا ولا عرفت الأرض مثلها..

امرأة تحب زوجها إلى هــذه الدرجة وإلى هذا الحد وتؤثــره على نفسها ولا تحب أن تؤذيه حتى بأن يراها وهي مريضــة كي لا يحزن عليها ..

نشأت فاطمة وهي في هذا السن - الثالثة عشرة والرابعة عشرة - وهي داخل هذا الشعب في ظل هذا الحصار الظالم..

يدخل بلال ومعه طعام يواريه تحت إبطه فيعطيه لرسول الله، فيعطي رسول الله لقمة لفاطمة ولقمة لأم كلثوم ولقمة لخديجة وينفذ هذا الطعام .

تمر بهم الأحوال هكذا .. ومَن هم؟ أنه البيت الطاهر ..

إنهم المحبوبين عند الله سبحانه وتعالى في علاه..

وينتهي الحصار بمعجزة عظيمة يخبر رسول الله أن الأكلة قد أكلت كل ما في الصحيفة إلا ذكر الله، فكان الأمر كما قال، وما أن انتهى الحصار إلا وقد أثر تأثيرا عظيما في هذا البيت، فما هي إلا أيام يسيرة وإذا بفاجعة موت أبي طالب الذي كان يحمي رسول الله ويدافع عنه ويذود

عنه أذى قريش بكل مستطاعه وقدرته ووجاهته وشجاعته وحكمته ومنزلته في قريش، وبمشيخته عليهم.

ولما توفي أبو طالب اشتد الأمر وحصل لرسول الله ما حصل فكان الصبيان يدفعونه في الطرقات، وكان السفهاء يرمونه ويضحكون عليه، حتى لقد جاء أحد السفهاء يوما فأهال التراب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله إلى البيت والتراب على رأسه[٢٢] فقامت فاطمة تفلي رأس رسول الله وتبعد عنه التراب ودموعها قد ملأت وجهها، تريد أن تمسكها فلا تستطيع وهي تنظف رأس أبيها و تبكي، فيلتفت إليها الأب الحاني ويقول لها يا بنيتي لا تبكي «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل»[٢٣] .

هكذا كان حالهم لا يزالون في هذا الجهاد وفي هذا الاجتهاد عليهم رضوان الله تعالى.

---

(٢٢) رواه الطبري في تاريخه عن هشام بن عروة عن أبيه، (٢/ ٣٤٤/) دار التراث – بيروت – ط٢ / ١٣٨٧ هـ

(٢٣) أخرجه الحاكم في مستدركه عن تميم الداري ، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٤٧٧/ ٨٣٢٦) دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ / ١٤١١ – ١٩٩٠ . وقال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»



وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها :

وبعد أيام يشتد المرض على خديجة وتجلس على رأسها فاطمة وأم كلثوم يسمعون أنينها في الليل وهي تتوجع، فتخرج الدمعات على وجه فاطمة فتمسحها بثوبها كي لا ترى أمها هذا الحزن وهذا الخوف، وهم في ذلك الوقت يشعرون أن هذه الأم هي الحاضنة وهي الكريمة وهي السلوة التي بقيت لأبيهم، فإن رسول الله عليه وسلم ما كان شيء يخفف أحزانه وآلامه مثل خديجة وكانت فاطمة تعرف هذا، فكانت تسأل نفسها : إذا ذهبت أمي فمن لأبي بعدها .. أما يكفيه هذه الأحزان؟ أما يكفيه هذا العداء؟

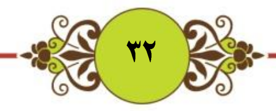
لقد مات عمه وكان مِن أشفق الناس عليه، وها هي أمي الآن؟

كانت خديجة توصيهم بأبيهم، وبأن لا يجزعوا، وتقول لهم أن أمر الله قد قرب.

و في يوم من الأيام اشتد الألم ، فجاء رسول الله ووضع رأسها على فخذه واستعرض تلك الذكريات ..

إنها الحبيبة..

إنها الفدائية..



إنها الصدر الحنون التي زملتني ودثرتني..

إنها التي كانت تصعد إلى غار حراء فتأتيني بالطعام..

إنها التي واستني حين نفر مني الناس..

إنها التي آوتني حين طردني الناس..

إنها التي صدقتني حين كذبني الناس..

إنها التي نصرتني حين خذلني الناس..

إنها خديجة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لهذا الحبيب..

فلما جاءتها الوفاة وضع رسول الله رأسها على فخذه وهو يسلِّيها وهي تنظر إليه آخر نظرات تودعه فيها وفاطمة في جانب الغرفة تبكي وأم كلثوم تحاول أن تخفف عن أختها الصغيرة وإذا بها تريد مَن يخفف عنها، فإن فراق خديجة ليس بالأمر الهين.

إن كانت كل أم وكل بنت إذا فارقت أمها تحزن مرة أو مرات فإن فراق خديجة ليس فراق أمٍّ عادية ..

إنه فراق أولِّ المسلمات..

إنه فراق الحضن الدافئ للإسلام..

إنه فراق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتأتي البشائر فيقول رسول الله لخديجة: يا خديجة هذا جبريل يقول لك : (إن الله يقرئك السلام ويبشرك ببيت في الجنة مِن قصب لا صخب فيه ولا نصب)[٢٤] ، فتقول خديجة (الله السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام وعلى جبريل السلام)

هنا يمتزج فرح بحزن ويخالط البنتان معانٍ غريبة، عندهما فرح وسرور بما حازته أمهما من المنزلة التي ما حازها أحد من الناس، ومع هذا الفرح والسرور حزن شديد وألم بالغ على هذا الفراق الذي لا يطيقونه ولكنه أمر الله سبحانه وتعالى .

توفيت خديجة فسمِّي هذا العام عام الحزن، فَقَدَ رسول الله عمه الذي كان ينصره، وخديجة التي كانت تخفف آلامه، واشتد به البلاء أيما اشتداد، وحلت به المحن. وصار كل الناس يطمعون في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ السفيهُ والغافلُ والكبيرُ والصغيرُ .. وصار رسول الله عرضة لهؤلاء القوم وهم لا يستجيبون لدعوته وهو لا يفتر يحاول ويحاول.

---

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ، باب قول الله تعالى (يريدون ..) (٩/ ١٤٤/ ٧٤٩٧) دار طوق النجاة – ط١ / ١٤٢٢هـ

يخرج في المواسم ويستقبل الناس إذا دخلوا وكان يخرج إلى أطراف مكة، فلما اشتد به الأمر صعد إلى الطائف وقامت البنتان تودعان أباهما صلى الله عليه وسلم.

صعد إلى الطائف لعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل له من ينصره هناك، وفاطمة تتمنى أن يجد والدها من يناصره ومن يؤيده فقد اشتد به الحال وطالت به السنوات وهو في حزنه هذا وإذا بالأمر الجلل .. إذا أهل الطائف يرمونه بالأحجار، ويرجع رسول الله ونعلاه قد تضمختا بالدماء وهو في حزن شديد، لا يستطيع أن يدخل مكة وهي البلد الحرام، وهي بلده ومولده ومنشأه، فدخل في جوار المطعم بن عدي .

وهو في هذا الحال اقترحت عليه بعض النساء أن يتزوج فتزوج صلى الله عليه وسلم من سودة بنت زمعة وكذلك عقد على عائشة بنت أبي بكر ..

كانت سودة امرأة كبيرة ولعل رسول الله أراد منها أن تراعي بناته وقد كان عمرها فوق الخمسين.

وأما عائشة فكانت صبية صغيرة عقد بها رسول الله ولم يدخل بها إلى بعد أن هاجر إلى المدينة

وفرحت فاطمة وأم كلثوم بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي داخلهم حزن على تلك الأم الكريمة التي لا تعوَّض، ولكن راحة أبيهما كانت عندهما أهم مِن أي شيء آخر، فما كان منهما اعتراض، وما كان منهما إلا الأدب الذي تربوا عليه، والذي رباهم وربتهم عليه خديجة على الجميع سلام الله سبحانه وتعالى ورضوانه.

عودة أم كلثوم من الحبشة :

ولما قرب أوان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد حصلت بيعة العقبة وعاهد أنصار رسول الله الذين جاءوا من المدينة أن ينصروه وطلبوا منه أن يهاجر إليهم دعا رسول الله المسلمين أن يهاجروا إلى المدينة فجاء عثمان بن عفان ومعه رقية، وقد وصلت رقية من الحبشة فدخلت إلى البيت وإذا بفاطمة وأم كلثوم، فلما دخلت ورأى بعضهم بعضا أجهشوا بالبكاء ..

ماذا يقولون لها؟ ..

أين أمها؟ ..

لقد جاءت رقية تشتاق أن ترتمي على أحضان أمها وأن تقبِّل رأسها وتعانق صدرها وتشمَّ كفها ولكن لم تجدها ..

فأجهشوا بالبكاء ..

اختلطت دموع الفرح باللقاء بدموع الأسف ودموع الحزن على مفارقة تلك الأم الكريمة عليهم جميعا رضوان الله تعالى ..

لم يبق أحد من المسلمين في مكة إلا رسول الله والصديق وعلي وبعض العجائز والنساء ممَن لم يستطع ومن كان في أيدي الكفار يعذبونه وأما بقية المسلمين فكلهم هاجروا إلى المدينة المنورة ولم يبق إلا هؤلاء، وإذا بالإذن من الله تعالى لحبيبه بالهجرة قد أتى، فهاجر رسول الله والصديق وتركوا أهلهم أما علي بن أبي طالب فقد لحق بهما بعد ثلاثة أيام .

ترك رسول الله في البيت فاطمة وأم كلثوم وزوجته سودة. وهذه ثقة عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناته وزوجته، وكذلك هم كانوا محلها وأهلها صبروا وتحملوا وجلسوا ينتظرون أن يأتي لهم الإذن مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله زيد بن حارثة ومعه أبا رافع لكي يستصحبوا بنات النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته سودة وأهل أبي بكر الصديق ، فقاموا وجهزوا أنفسهم



وحاولوا أن يخرجوا في وقت لا يراهم فيه الناس ولكن ذلك الشقي الذي أراد والعياذ بالله أن يؤذي بنات النبي صلى الله عليه وسلم.

هجرة فاطمة وأم كلثوم إلى المدينة رضوان الله عليهما :

كانت فاطمة وأم كلثوم على قتب البعير فخرج هذا الذي يسمى الحويرث بن نقيد وطاردهم حتى وصل إليهم فنخس البعير فتحرك وسقطت فاطمة وأم كلثوم من على البعير، وأصيبتا وجرحتا واشتد بهم التعب وهما لم يستصحا مما خرجا به مِن الشعب بعد ذلك الحصار، فلا زالت فاطمة في ضعف جسدها ولا زالت في نحولتها وكذلك أم كلثوم فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل هذا الرجل الفاجر الكافر الذي لا يعرف أدبا ولا شهامة ولا نخوة .. إذ كيف يخرج لأذية نساء وبنات .. أين ذهبت نخوة العروبة ؟ فكنَّها رسول الله وحفظها، فلما جاء فتح مكة بعد ذلك في السنة الثامنة قال رسول الله من وجد الحويرث بن نقيد فليقتله ولو كان تحت الحجر الأسود.

من هذا الذي يفوز بقتل هذا المجرم فيشفي غليل المسلمين ويشفي غليل الزهراء مما فعل بها هذا الرجل ؟



إنه البطل علي بن أبي طالب، لقي الحويرث بن نقيد فطلب منه الحويرث الأمن والمسامحة فلم يجبه إلى هذا وقتله امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصلت فاطمة وأم كلثوم إلى المدينة المنورة ففرح رسول الله عليه وسلم، ورأت فاطمة أن أباها عليه الصلاة والسلام في حالة من الأمن بعد الأذى وفي حالة من الرخاء بعد الشدة التي كانت بمكة، وإذا به يجد قوما يحبهم ويحبونه، يجد قوما ينصرونه ويفدونه .. فسكن قلبها وهدأ خاطرها لأنها كانت تسهر وتقلق وتتأرق خشية على أبيها صلى الله عليه وسلم، فاطمأن قلبها عندما رأت الأنصار وهم في هذه الدار يؤثرون رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم و على أولادهم وعلى أهليهم.

ولا زالت الذكريات تتجدد :

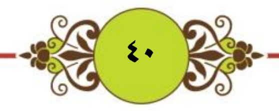
كانت زينب بنت رسول الله في مكة إذ بقيت هذه المسكينة وحيدة فريدة بإسلامها وزوجها على غير إسلام قبل أن يفرق الله بين المسلمة والمشرك، وفاطمة وأم كلثوم لا يدرون ما خبر أختهما.

مرت الأيام وجاءت معركة بدر ونصر الله رسوله والمسلمين، وإذا في الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أمر الله، فأرسل أهل مكة يفتدون بأموالهم أسراهم فأرسلت زينب مع عمرو بن الربيع أخو زوجها أرسلت معه صرة وقالت له اعط هذا أبي وقل له إن زينب تفتدي زوجها أبا العاص، فلما وصل إلى المدينة أعطى عمرو بن الربيع هذه الصرة لرسول الله ففتحها رسول الله وإذا فيها الذكريات..

إذا فيها قلادة؛ هذه القلادة كانت لخديجة بنت خويلد أعطتها لبنتها زينب في يوم زفافها فلما رآها رسول الله اغرورقت عيناه بالدموع وسكت، ونازل الصحابة حال من الصمت .

إنه يذكر خديجة ..

إنها الذكريات ..



إنها المحبة التي امتلأ قلبه لها صلى الله عليه وسلم ..

فقال لأصحابه إذا رأيتم أن تعيدوا لها قلادتها وإن تعيدوا إليها زوجها فافعلوا، فقالوا يا رسول الله نعيد لها قلادتها؛ يعني : نتنازل عن فداء هذا الرجل [٢٥] .

فانظر كيف استأذنهم رسول الله وهو القائد وهو الإمام صلى الله عليه وسلم .

رجع رسول الله في ذلك اليوم فمر على فاطمة وأم كلثوم وإذا رسول الله في وجهه شيء،.. ماذا جرى؟

فأخبرهم أنه رأى قلادة أمها، وأن زينب قد أرسلت بقلادة أمها تفتدي بها زوجها فجلس الثلاثة يتذكرون أيام مكة وخديجة معهم، يتذكرون فيها لياليها وأيامها ؛

يتذكرون خديجة وهي تمشي ..

يتذكرونها وهي تحمل فاطمة ..

يتذكرونها وهي تضع الطعام لرسول الله، فتفيض أعينهم، ورسول الله يحتضن البنتين ويشفق عليهما.

---

(٢٥) أخرجه أبو داود في سننه عن عائشة ، باب في فداء الأسير بالمال (٤/ ٣٢٨/ ٢٦٩٢) الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



كان الأب الشفيق وكان كالأم الحنون عليهما صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أبو العاص في الأسْر مرة أخرى

مرت الأيام ومرت السنوات وحدث أن أبا العاص خرج في تجارة للمشركين من مكة فوجده بعض المسلمين في سرية مِن السراري فأسروه وأتوا به مرة أخرى إلى المدينة وأخذوا ما معه من المال، فما كان من زينب رضي الله عنها وأرضاها في مكة إلا أن بعثت تريد أن تفتدي زوجها مرة أخرى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذا رأيتم أن تعيدوا للرجل ماله وأن تطلقوه فافعلوا، فأعادوا له ماله حتى كان الرجل يأتي من بيته بالقطعة الصغيرة مما وصله مِن الفيء يعيده إلى أبي العاص كرامة وحبا لمصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

و همس رسول الله في أذن أبي العاص..

رجع أبو العاص إلى مكة فوصل حزينا ..

فرحت زينب بعودته سالما ولكنه لم يكن فرحاً ..

ما بالك يا أبا العاص؟ قال لها : إنه الفراق يا زينب ..

ما ذاك؟ ..

قال إن أباك قد طلب مني أن أبعثك إليه، وقد أرسل زيد بن حارثة وبعض أصحابه يصحبونك، فتأثرت وعلمت أنه قد جاء الأمر من الله ورسوله ولا بد مِن الامتثال .

خرجت رضي الله عنها وكان قد صحبها أحد إخوان أبي العاص وما استطاع أبو العاص أن يخرج بها بنفسه حتى لا يشتد حزنه على فراقها فقد كان شديد المحبة لها..

وكيف لا يكون كذلك؟ ..

وهي بنت رسول الله..

كانت مثالاً في أدبها ووفائها وصفائها..

لم يرَ منها سوءا قط ..

ما رأى منها إلا إحسانا ..

ما رأى منها إلا كمالا حتى افتدته بنفسها وافتدته بمالها وافتدته بقلادة أمها التي كانت أعز شيء عليها، وكان شديد المحبة لها ولكنه قد وعد رسول الله ولن يخلف وعده.

فجاء أخو أبي العاص وخرج بزينب وكانت رضوان الله عليها معها أمامة بنتها وعلي ولدها. خرجت بهما على البعير ولما كانت في الطريق إذ أقبل بعض المشركين وكان قد سبق إليها الأنكد الأبغض هبار بن الأسود فجاء يلوح إلى وجهها وإلى بطنها بالرمح ويخوفها ويرعبها وإذا به ينخس الجمل وكانت زينب حاملا رضي الله عنها . سافرت وهي في هذا الحمل، فسقطت مِن على البعير ووقعت على صخرة صلداء فأخذ الرجل يتقاتل معهم وأخو أبو العاص يصدهم عن زوجة أخيه دفاعا عنها فابتعدوا وإذا به ينظر فإذا زينب قد امتلأت بالدماء ..

لقد أسقطت حملها وأسلبت ما في بطنها .

فيا لله ما كان حال زينب وهي في دمائها لا تعرف ماذا تفعل؟..

ماذا تقول؟ ..

حُمِلت إلى بيتها في مكة مرة أخرى لكي تعالج من شدة هذه الآلام، ثم خرجت وعادت إلى المدينة المنورة ووصلت فعانقها أبوها وجلست في الحجرة التي فيها فاطمة وأم كلثوم، فتعانقوا وتذاكروا فأخبرتهم بالخبر فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ..

ما بال هؤلاء القوم فقدوا شهامة العروبة وفقدوا الرجولة وفقدوا كل المعاني؟

أ يهاجمون البنات والنساء؟

غضب رسول الله غضبا شديدا وأمر بعض أصحابه فقال «إِذا لَقيتُمْ هَبَّارَ بنَ الْأَسْود وَنَافِعَ بْن عَبْد الْقَيْسِ فَحَرِّقوهما بِالنَّارِ» ثمَّ إِنَّ النبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا الله وَلَكِنْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمَا فَاقْتلُوهُمَا»[٢٦]

كل ذلك لما كان منهم من الإساءة والإيذاء لبنت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ولئن كان هذا في هذه الدنيا فإن في الآخرة والعياذ بالله عذاب النار وبئس المصير .

وتمر الأيام وزينب وأمامة بنتها في المدينة ، يمر عليهم رسول الله فيحمل علياً ذلك الصبي الصغير ويلاطفه، وكان يحب أمامة حباً شديداً حتى إنها كانت تخرج إلى المسجد وربما كان رسول الله في الصلاة فتصعد

---

(٢٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، ذكر الزجر عن أن يعذب أحد بالنار (١٢/ ٤٢٥/ ٥٦١١) مؤسسة الرسالة – بيروت– ط٢ / ١٤١٤ – ١٩٩٣

على ظهره فيبقى ساجداً ويتأخر في سجوده فلا يحب أن يرفع هذه البنت الصغيرة اللطيفة محبةً لها صلى الله عليه وسلم .

كان كثيراً ما يخرج إلى المسجد وأمامة على كتفه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الأطفال وكان يحب عيال بناته صلى الله عليه وسلم.

زواجها رضي الله عنها :

لما بلغ عمر الزهراء الثامنة عشرة تقدم بعض الصحابة يطلبون الزواج منها ، فجاء أبوبكر يطلبها من رسول الله فسكت صلى الله عليه وسلم وقال انتظر فيها أمر الله، ثم جاء عمر فقال له رسول الله ما قال لأبي بكر، فذهبا إلى علي بن أبي طالب وقالا له يا علي إن لك السابقة في الإسلام، فأخذوا وجماعة من الأنصار يشجعونه ويقولون له ألا تذهب فتخطب فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك أحرى بها وأحق وأنت ابن عم أبيها فذهب سيدنا علي وهو في حياء شديد (فَدَخَلَ عَلَى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا حَاجَةُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟» قَالَ: ذكَرت فاطمة بِنْت رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» ولَمْ يَزِدْهُ عَلَيْهَا، فَخَرجَ إِلَى الرَّهْطِ مِنَ الْأَنصارِ يَنْتَظِرُونَهُ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» قَالُوا:

يَكْفِيكَ مِن رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا، قَدْ أَعْطَاكَ الْأَهْلَ، وَأَعْطَاكَ الرَّحْبَ[٢٧] .

وجاء عن علي بن أبي طالب قال : خطبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة، قال: فباع علي درعاً له وبعض ما باع من متاعه، فبلغ أربعمائة وثمانين درهما. قال: «وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل ثلثيه في الطيب، وثلثا في الثياب، ومج في جرة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به»[٢٨]

دخل رسول الله على فاطمة كما في بعض الروايات يستشيرها فقال لها يا فاطمة إن علي بن أبي طالب قد ذكرك، فسكتت رضوان الله عليها واستحت[٢٩] فعلم رسول الله بسكوتها أنها راضية وأنها قد وافقت فبدأ الجهاز.

ماذا كان جهاز الزهراء ؟ وكيف حال الواحدة من بناتنا اليوم؟

---

(٢٧) أخرجه النسائي في السنن الكبرى عن أبي بريدة عن أبيه ، باب ما يقول إذا خطب امرأة (٩/ ١٠٦/ ١٠٠١٦) مؤسسة الرسالة – بيروت - ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

(٢٨) أخرجه ابو يعلى في مسنده عن علباء بن أحمر ، مسند علي بن أبي طالب (١/ ٢٩٠/ ٣٥٣) دار المأمون للتراث – دمشق - ط١/ ١٤٠٤ - ١٩٨٤

(٢٩) رواه الدولابي في كتابه الذرية الطاهرة عن عطاء بن أبي رباح، باب تزويج علي فاطمة (١/ ٦٤/ ٩٣) الدار السلفية – الكويت – ط١/ ١٤٠٧



هذه فاطمة .. إنها سيدة النساء وهي سيدة نساء أهل الجنة .

ماذا كان جهازها؟

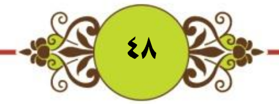
ماذا كان أثاثها ؟

كان جهازها كما تقول سيدتنا عائشة وبعض أمهات المؤمنين: ففرشنا حجرتها بالرمل الناعم هذه هي القطيفة . وهو ما يسمونه بلغتنا اليوم (الموكيت). ما وجدوا فرشا لبيت فاطمة ففرشوه بالرمل الناعم فكان فراش البيت رمل ناعم، وجاءوا بوسادة من أدم يعني من الجلد محشوة بالليف فكانت هذه الوسادة هي السرير الذي ينام عليه وجاءوا برحائين[٣٠] وسقائين[٣١] وجرتين تحفظ فيها الماء وشيء من العطر والطيب، ووضعا عودا في طرف الحجرة من هذا الجدار إلى هذا الجدار ، فكان هذا العود هو الذي يعلقون عليه ثيابهم ويعلقون عليه سقائهم ومتاعهم، فكان بمنزلة ما نجعله نحن الآن مِن الدولاب وغير ذلك.

فسبحان الله كيف كانت أحوالهم في هذا الزهد؟ وفي هذا التقشف العظيم؟ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر وقال إن

(٣٠) الرحاء : هي آلة لطحن الحبوب

(٣١) السقاء : هو إناء تستقي به الماء .



الدنيا ليست لمحمدٍ ولا لآل محمدٍ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى هذه الدنيا ولم يشتغل بها .

و أطعم سيدنا حمزة الناسَ، إذ جاء بجملين فنحرهما وقدمهما للناس. تقول سيدتنا عائشة : فأكلنا تمرا وزبيبا فما رأيت والله عرساً أفضل من عرس فاطمة، وكيف يكون عرس أفضل من عرسها وهي التي جعل الله سبحانه وتعالى زواجها مشتهرا في السماء قبل الأرض بعناية مِن عنده سبحانه وتعالى .

وبدأت مراسيم الزواج فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه بغلته الشهباء وقال لفاطمة اركبي، ثم قال لسلمان الفارسي قُدْها إلى بيت علي، ومشى رسول الله خلفها ومعه حمزة وبعض بني هاشم يزفونها إلى بيت الزوجية رضي الله عنها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء أن يرتجزن وأن يحمدن الله ويكبرن ويصحبن فاطمة .

وكانت أمهات المؤمنين يتسابقن في إظهار الفرح بزواج فاطمة.

أتعلمون لماذا يتسابقن ؟ ..

أنهن يتسابقن لرضا رسول الله لأنهن يعلمن أن رسول الله يحب هذه البنت محبة لا يحب أحداً من الناس مثلها قط، ويعلمن أنهن إن

اجتهدن في مرضاتها وخدمتها كانت لهن المنزلة العظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكما هو المعلوم أن البنت في هذا اليوم أحوج ما تكون إلى أمها، ولكن أين خديجة بنت خويلد؟ إنها موسدة في أرض الحجون بمكة المكرمة، ورسول الله يزوِّج فاطمة ويتذكر خديجة .

مشوا حتى وصلوا إلى بيت فاطمة فأخذت النساء ترتجز وأنشأت أم سلمة تقول :

سرن بعـــــــــون الله جـــــــــاراتي
واشـــــكرنه في كـــــل حــــــالات
واذكــــرن مــــا أنعـــم رب العـــلى
مـــن كشـــف مكـــروه وآفـــات
وقـــد هـــدانا بعـــد كفـــر وقـــد
أنعشـــــــــنا رب الســــــــماوات
سرن مــــع خــــير نســــاء الـــورى
تُفــــــدى بعــــــمات وخــــــالات
يــــا بنــــت مــــن فضَّـــله ذو العـــلى
بــــالوحي منــــه والرســـــالات

فكن ينشدن مثل هذه الأبيات يحاولن أن يفرحنها حتى يدخلن السرور عليها، فلما أدخلها رسول الله إلى بيت علي قال له : (لا تحدث مع أهلك شيئا حتى تلقاني)[٣٢] فرجع رسول الله إلى المسجد لصلاة العشاء.

ولنقف هنا وقفة تأمل . كيف حال الناس اليوم في زواجاتهم؟ ربما بسبب الزواج تركوا الصلاة أو أهملوها..

ولكن رسول الله ما كان عنده شيء أعظم من الصلاة،

ذهب رسول الله إلى المسجد وصلى بالناس صلاة العشاء وذكَّرهم وكلَّمهم ثم أتى يسعى إلى بيت فاطمة فدخل عليها فلما دخل خرج النساء إلا واحدة لم تخرج ..

إنها أسماء بنت عميس بقيت عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبقيت عند فاطمة في طرف الحجرة .

تقول : لما كنت في ذلك الموقف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن هذه؟

فقلت : أسماء ..

(٣٢) رواه النسائي في سننه عن ابن بريدة عن أبيه، باب ما يقول إذا خطب امرأة (٩/١٠٦/١٠٠١٦) مؤسسة الرسالة – بيروت ط١ / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

قال : بنت عميس ؟

قلت : نعم ..

قال لِـمَ لم تنصرفي؟ ..

قلت : يا رسول الله أنا الذي حَرَسَ ابنتك، فإن الفتاة ليلة يبنى بها لا بد لها من امرأة تكون قريبا منها، إن عرضت لها حاجة، وإن أرادت شيئا أفضت بذلك إليها، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فرحا عظيما، لأنها آنستها، في هذا اليوم الذي أحوج ما تكون فيه إلى أمها خديجة ، فأرادت أسماء بنت عميس أن تؤدي بعض دور خديجة .

تقول أسماء : فدعا لي رسول الله بدعوات والله إني لأرجوها وإنها لأرجى ما عندي، مع أنها من المجاهدات المهاجرات اللاتي كان لهن الدور العظيم في الإسلام.

قالت: دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك من الشيطان الرجيم [٣٣] .. تقول : إني والله لأرجوهن بل هن أرجى ما عندي عليها رضوان الله تعالى .

---

(٣٣) أخرجه عبدالرزاق الصنعاني في مصنفه عن ابن عباس ، (باب تزويج فاطمة رضي الله عنها) (٥/ ٤٨٦/ ٩٧٨٢) المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

وجلس النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأخذ يدعو للزوجين ثم أخذ شيئا من الماء فتوضأ ودعا فيه، وقال لفاطمة اقْبِلِي، فنضح الماء على صدرها ثم قال : ادبري فنضح الماء على ظهرها وعلى رأسها، وقال اللهم إني أعيذها بك وذريتها مِن الشيطان الرجيم، وقال لعلي اقبل فنضح الماء على صدره، ثم نضح الماء على ظهره ودعا له بدعوات عظيمة ثم دعا لهما جميعا فقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما [٣٤] وقال : اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إلي اللهم وهذا أخي وأحب الخلق إلي، اللهم اجعله لك ولياً وبك حفياً وبارك في أهله.

ثم أمسك صلى الله عليه وسلم بعضادة الباب وأخذ يوصيهما ويقول : يا فاطمة لك ما بداخل البيت، يا علي لك ما بخارج البيت، ووقف على الباب يدعو لهما ويطلب من الله تعالى أن يحفظها وأن يخرج منهما الذرية الصالحة، وأمسوا في خير ليلة، ثم لما أصبحوا صلَّى رسول الله الصبح فجاء يسعى إلى بيت فاطمة، وكان بأبي هو وأمي إذا أصبح

(٣٤) رواه النسائي في سننه عن ابن بريدة عن أبيه، باب ما يقول إذا خطب امرأة (٩/ ١٠٦/ ١٠٠١٦) مؤسسة الرسالة – بيروت ط١ / ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م بلفظ (وبارك في شبليهما) وفي مسند الروياني عن أبي بريدة ، باب ابن بريدة عن بريدة (١/ ٧٦/ ٣٥) بلفظ (وبارك في نسلهما) ..



يمر ببيت فاطمة وإذا أمسى يمر ببيتها لما لها مِن المنزلة في قلبه عليه الصلاة والسلام.

لما أصبح صلى الله عليه وسلم سعى إلى بيت فاطمة ثم استأذن فدخل فسلم عليهم فقال : كيف وجدت أهلك يا علي؟ فقال نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت كيف وجدتيه؟ فقالت خير بعل يا أبتاه فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يده وقال : «بارك الله لكما وبارك فيكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب» (٣٥)

يقول سيدنا أنس وهو ممن روى مثل هذه الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول (فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب)

تعمر سيدنا أنس سنين طويلا بعد رسول الله وشاهد الحسن والحسين وشاهد أبنائهم وأبناء أبنائهم فوجد الكثير الطيب مِن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك البيت العظيم البيت الذي كان بيت الفقر والتقشف، بيت الزهد والرضا، هذه حجرة فاطمة وعلي كانت حجرة الزهد في الدنيا وكانت حجرة الورع وكانت حجرة الصبر والرضا .

---

(٣٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، باب محمد بن دينار العراقي (٥٢/ ٤٤٥/ ٦٣٣٨) وقال : ((غريب لا أعلمه يروي إلا بهذا الإسناد)) ..



فاطمة رضي الله عنها في بيت الزوجية :

كانت فاطمة رضي الله عنها لا تفتر عن ذكر الله، قوامة بالليل صوامة بالنهار وعلي بن أبي طالب كذلك لم يكن أقل شأنا، بل كان عابداً مجاهدا لا يفتر عن طاعة الله والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى في علاه.

رأى عليٌّ فاطمة في يوم من الأيام وقد خشنت يدها واسودَّ عاتقها مما تحمل عليه مِن الماء فقال يا بنت رسول الله : والله لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " ما جاء بك أي بنية؟ " قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتيناه جميعا، فقال علي: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم " فرجعا، فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطت رءوسهما

تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رءوسهما، فثارا، فقال: " مكانكما " ثم قال: " ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ " قالا: بلى. فقال: " كلمات علمنيهن جبريل "، فقال: " تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين " قال: " فو الله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: " قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم، ولا ليلة صفين " [(٣٦)]

كثيرا ما أذكر لإخواننا وأحبابنا وأخواتنا من المسلمات أن الوصايا التي أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بنته فاطمة لمن خير الوصايا، فينبغي للمسلم والمسلمة أن يكونوا أشد حرصاً عليها فإنها مفاتيح لكثير مِن الخيرات لأنها وصية الحبيب للمحبوبة، ووصية المصطفى للزهراء البتول التي ما أحب أحداً مثلها، ولعلي بن أبي طالب زوجها وهو أعز الناس عليه، فينبغي للإنسان أن يحرص على هذه التسبيحات ولن تأخذ منك أكثر من نصف دقيقة ..

---

(٣٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب، مسند علي بن أبي طالب (٢/ ٢٠٣/ ٨٣٨) مؤسسة الرسالة - ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م



سبحان الله «ثلاثا وثلاثين»

والحمد لله «ثلاثا وثلاثين»

والله أكبر «أربعا وثلاثين»

فمن قالها جعل الله له معونة روحية باطنية، ورزقه الهمة وثبته بالعافية، ويكون ذلك خير له من وجود خادم يعينه بمعونة مِن الله سبحانه وتعالى في علاه.

وفي يوم من الأيام أصابت عليا رضي الله عنه فاقة، فقال لفاطمة رضي الله عنها: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألتيه وكان عند أم أيمن رضي الله عنها، فدقت الباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم أيمن: «إن هذا لدق فاطمة، ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها، فقومي فافتحي لها الباب» قالت: ففتحت لها الباب، فقال: «يا فاطمة، لقد أتيتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها» فقالت: يا رسول الله هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتمجيد، فما طعامنا؟ قال: «والذي بعثني بالحق ما اقتبس في آل محمدٍ نار منذ ثلاثين يوما وقد أتانا أعنز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنز، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام آنفا» قالت: بل

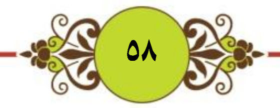


علمني الخمس كلمات التي علمكهن جبريل عليه السلام، قال: " قولي: يا أول الأولين، يا آخر الآخرين، ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين " قال: فانصرفت حتى دخلت على علي رضي الله عنهما فقالت: ذهبت من عندك إلى الدنيا وأتيتك بالآخرة، قال: خيراً يأتيك، خيرا يأتيك)[٣٧]

فكانت من الدعوات التي يواظبون عليها عليهم سلام الله تعالى.

وفي مرة أخرى طلبت منه صلى الله عليه وسلم فعلمها دعاءً قال لها قولي «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن

(٣٧) رواه الطبراني في الدعاء عن سويد بن غفلة ، باب الدعاء للفقر والسقم (١/ ٣١٩/ ١٠٤٧) دار الكتب العلمية – بيروت- ط١ ١٤١٣



فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر » [٣٨] كما رواه الإمام الترمذي

وينبغي أن نحرص على هذه الوصايا التي وصى بها رسول الله فاطمة فإنها وصايا عظيمة لا يهملها الإنسان ولا يتركها ، بل ينبغي أن يحافظ عليها وسيجد بركتها في الدنيا وخيرها في الدار الآخرة، إن شاء الله تعالى ..

كان صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ الأحزاب: ٣٣ [٣٩]
هكذا كان صلى الله عليه وسلم..

حتى أنه في مرة من المرات حصل معه موقف طريف، فقد كان سيدنا علي متعبا فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له هذا القول وأراد أن يوقظهم فقال لهم: «ألا تصلون»، قال علي: فقلت: يا

---

(٣٨) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة، (٥/ ٥١٨/ ٣٤٨١) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٢/ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(٣٩) أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك ، باب ومن سورة الأحزاب (٥/ ٢٠٥/ ٣٢٠٦) الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨ م وقال : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ)

رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٤٠]

لأن سيدنا علي رد عليه بمثل هذا الرد مع شدة التعب فكان صلى الله عليه وسلم حريصا على دينهم.

و الآن كيف حال الآباء إذا مروا ببيوت بناتهم؟

يسألها هل أعطاك زوجك كذا؟..

هل جهز لك كذا؟ ..

هل البيت مريح؟ ..

هل البيت مكيف؟ ..

هل عليك شيء ناقص؟ ..

---

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن الحسين بن علي، باب في المشيئة والإرادة (٩/ ١٣٧/ ٧٤٦٥) دار طوق النجاة – ط١/ ١٤٢٢هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاء نظر إلى دينهم ، وإلى أخلاقهم وإلى شمائلهم لأنه همه كان الدار الآخرة أما الدنيا فلا قيمة لها ستنتهي وستمضي وهو أزهد الخلق فيها صلى الله عليه وسلم .

كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد سفرا يقصد آخر ما يقصد بيت فاطمة، فكان يودع زوجاته ثم يأتي إلى بيت فاطمة فيجلس عندها، وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة ترقبوا خروجه لأنهم كانوا يعرفون أنه يخرج بحال جميل، فقد كان يخرج دائماً مسرورا متهللا من بيت فاطمة فإنه بيت المحبة وبيت الوداد وبيت الأنس الذي كان يستأنس فيه رسول الله خاصة بعد أن جاء الحسن والحسين ، هذين الطفلان اللذان ملئا على رسول الله حياته وأنَّساه، وكان يفرح بهما ويلاعبهما صلى الله عليه وسلم، كان كثيرا ما يأتي فيقيل عند فاطمة يلعب الصبيان فوق صدره ، ويصعدون على ظهره وفاطمة تكنس البيت وتشتغل ورسول الله يرقبهم بعينه الشريفة عليه الصلاة والسلام.

كانت حجرة علي بن أبي طالب بعيدة قليلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يحب أن تكون فاطمة قريبة منه لأنه دائما

ما يحب أن يدخل بيتها، وكان صلى الله عليه وسلم كلما بنى بزوجةٍ من الزوجات وسَّع حجراته فكان أقرب الناس إلى بيته حجرات كانت لحارثة بن النعمان أحد الأنصار رضي الله عنه فجاءت فاطمة وقالت يا رسول الله هلا كلمت حارثة بن النعمان وطلبت من أن ينزل لنا عن بعض حجراته؟

فقال لها يا بنيتي والله لقد استحييت ..

استحى رسول الله ممن ؟ ..

هؤلاء الصحابة يفدونه بأرواحهم وليس بمنازلهم..

قال : استحييت فإنه قد نزل لنا عن بعض حجراته وبيوته فلم يكلمه، فبلغ الخبر إلى حارثة بن النعمان فجاء يسعى وقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تحوِّل فاطمة بنتك إليك وهذه منازلي هي أقرب بيوت بني النجار إليك وإنما أنا ومالي لله ولرسوله ..

يا رسول الله : - ولك أن تسمع وتعيش هذه المعاني التي ما عرفتها الأرض ولا عرفها الناس - لكن الحبيب صلى الله عليه وسلم أنشأ أمورا ومعانٍ ومشاعر غريبة وعجيبة. قال يا رسول الله ((والله

لَلذي تأخذ من مالي أحب إلي مما تدع))[٤١] ، فدعا له بدعوات، ونزل عن بعض حجراته فأسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بنته الزهراء مع زوجها علي بن أبي طالب .

وهذه الحجرة قال بعضهم بمقاييس اليوم الحجرة كلها مترين ونصف في مترين، أي ما تصل إلى خمسة أمتار مربعة تقريبا، وأما ارتفاعها فكان قرابة المترين، حتى يقول بعض التابعين دخلت إلى حجرات رسول الله فرفعت يدي فمسست السقف بيدي..

هذه حجرات النبي صلى الله عليه وسلم ..

وهذه حجرة فاطمة عليها رضوان الله تعالى ..

هذا البيت الكريم الذي صار رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم يدخل إليه ويخرج ويلاعب الأطفال فيه عليه الصلاة والسلام .

---

(٤١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ، باب فاطمة بنت رسول الله (٨/ ١٩) دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولما نصر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم في بدر رجع إلى المدينة وكانوا في سرور، ولكن هذه الدنيا لم تكن لمحمدٍ ولا لآل محمدٍ رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت رقية زوجة عثمان بن عفان في مرضها وقد تأخر عثمان عن معركة بدر لأنه كان يطبب ويعالج زوجته رقية بنت رسول الله، فلما رجع رسول الله من بدر منصوراً إذا بالفاجعة. وإذ برقية يتوفاها الله سبحانه وتعالى فبكى النساء عليها حتى أن عمر بن الخطاب قام يصيح على النساء وينهاهن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (دَعْهنَّ يبكينَ، وإياكنّ ونعِيق الشيطان، وقعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على شَفِير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يمسح عينَ فاطمة بثوبه، رحمة لها) [٤٢].

إنها تدفن أختها..

قبل سنوات فقدت أمها..

والآن تفقد أختها رقية ..

---

(٤٢) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس، مسند عبدالله بن عباس (٣/ ٣٤٥/ ٣١٠٣) دار الحديث – القاهرة ط١/ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

وبعد ذلك ستفقد وستفقد والنبي صلى الله عليه وسلم صابر ويعلمها الصبر عليه الصلاة والسلام.

بعد وفاة رقية بستة أشهر زوَّج رسول الله عثمان مِن أم كلثوم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لو كان لي بنت ثالثة لزوجتها لعثمان)(٤٣) وفي رواية (فلو كن عشرا لزوجتهن عثمان) (٤٤) لمحبته صلى الله عليه وسلم لسيدنا عثمان بن عفان، وبذلك سمي ذو النورين لأنه كان زوج لبنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هكذا كان حال بيت رسول الله وحال بيت فاطمة..

فاطمة في أحُدٍ :

جاءت غزوة أحد فخرجت فاطمة الزهراء مع أبيها وقد حصل له ما حصل ، افترق الناس عنه وسقط رسول الله داخل حفرة، ورماه ذلك الشقي ابن قمأة بحجر فشج بها جبينه، وكسرت رباعيته ودخلت حلقات المغفر في وجنته، فجاء مالك بن سنان يمص الدم مِن وجهه فما

---

(٤٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عصمة بن مالك، باب عصمة بن مالك (١٧/ ١٨٤/ ٤٩٠) مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط٢

(٤٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي هريرة، باب أم كلثوم بنت رسول الله (٢٢/ ٤٣٦/ ١٠٦٣) مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط٢

توقف الدم، فأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان مرتفع في جبل أحد، وكانت فاطمة عليها رضوان الله تعالى في تلك المعركة من المشاركات فقد كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تعين في تطبيب المرضى وفي حمل الماء والسقاء وتهيئة شيء من الطعام ، فلما جاءوا بأبيها وهو جريح كانت تنظر إليه وهي تبكي ..

هذه الدماء تخر من أي وجه؟ ..

إنه أصبح الوجوه ..

إنه أعظم الوجوه عند الله..

إنه الوجه الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾[البقرة: ١٤٤] ..

هذا الوجه الذي من أجله جعل الله الكعبة قبلة للمسلمين ..

ما أعزه من وجه ..

ما أعظمه من وجه ..

كان أجمل من القمر ليلة البدر ..

وجه شريف عزيز تُذْهِبُ رؤيته الحزن ..

وجه كان النظر إليه من ألذ ما يجده الصحابة ..

هذا الوجه يخر بالدماء مِن الجبهة ومن الوجنة ومن الأسنان، فلما صعدوا به كانت فاطمة هي التي تطببه وتعالجه ، أخذت تغسل وجهه بالماء وكلما غسلته عاد الدم، فجاءت بشيء من حصير النخل فحرقته وأخذت الرماد فتوقف الدم بهذا الرماد شيئا فشيئا حتى وقف الدم وهي لا تزال باكية مشفقة على أبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

فاطمة وعلي واختلاف المواقف :

في يوم من الأيام وعلى عادته صلى الله عليه وسلم دخل إلى بيت فاطمة فوجد بين الزوجين شيئا وعلم أن بينهم خلاف فأحب صلى الله عليه وسلم أن يصلح بينهما، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فوضعها على بطنه وأخذ بيد فاطمة فوضعها على بطنه ولا زال بهما صلى الله عليه وسلم حتى أصلح بينهما.

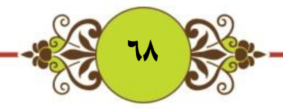
وهذه طبيعة في البشر أن يحصل بينهما هذا الخلاف .

ولكن مادامت المحبة تخيم على البيت فلا بد أن يذهب هذا الخلاف. خصوصا إذا كان أهل هذا البيت على مثل هذه الحالة من تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته.

وفي يوم من الأيام سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن خلافا نشب بين الزوجين الكريمين فجاء مسرعا صلى الله عليه وسلم يسعى فدخل عليها وفي وجهه هم وقلق، رأى الصحابة في وجه رسول الله هذا الهم والاهتمام فدخل إلى بيت فاطمة وتأخر داخلَ البيت، ثم خرج صلى الله عليه وسلم وعليه أثر البشر والسرور فقال بعض الصحابة يا رسول الله لقد دخلت بحالة وخرجت بحالة أخرى! دخلت مهموما وخرجت مسرورا؟! قال: (وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي)[٤٥].

ومرةً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت فاطمة فوجد وجهها متغيراً فقال لها أين زوجك يا فاطمة؟ فقالت: ما أدري، فقال هل بينكما شيء؟ فقالت إنه فعل كذا وأخذت تشكو، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يبحث عن علي فوجد علي بن أبي طالب نائماً في المسجد - وكأن عليا تجنب الخلاف مع سيدتنا فاطمة وخرج مِن البيت إلى المسجد

(٤٥) انظر (الطبقات الكبرى) لابن سعد، فاطمة بنت رسول الله (٨/ ٢١) دار الكتب العلمية – بيروت – ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



حتى تهدأ النفوس ثم يعود - والتراب يعلوه فحركه صلى الله عليه وسلم برجله وقال له (قم أبا تراب، قم أبا تراب) [٤٦] فاستيقظ سيدنا علي فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وصالحه بفاطمة فقال سيدنا علي : (والله لا أغضبك بعد اليوم يا فاطمة أبدا)

كان بينهما هذا الوداد وهذه المحبة، حتى أن سيدنا علي بن أبي طالب كان يلاطفها وكانت تلاطفه، دخل يوما عليها وهي تعمل بسنة أبيها باستعمال السواك قبل الصلاة، فلما رآها تستخدم السواك تبسم سيدنا علي بن أبي طالب وأنشأ بعض الأبيات تغزلا وملاطفة بالزوجة الكريمة المحبوبة رضي الله عنهم وأرضاهم يقول :

حظيـــت يـــا عـــود الأراكِ بثغرهـــا
مـــا خفـــت يـــا عـــود الأراك أراكَـــا
لـــو كنـــت مـــن أهـــل القتـــال قتلتـــك
مـــا فـــاز منـــي يـــا سِـــواكُ سِـــواكا

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد، باب نوم الرجل في المسجد (١/ ٩٦/ ٤٤١) دار طوق النجاة- ط١/ ١٤٢٢هـ

ريحانتا رسول الله يهلان إلى الوجود :

بعد فترة من الزواج أكرم الله سبحانه وتعالى السيدة فاطمة بمولودها الغلام سيدنا الحسن الذي كان أشبه الناس برسول الله بعد أمه عليه السلام، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء مسرعا وحمل الغلام وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى وأخذ يمسح عنه ويدعو له وقال لعلي (ما سميته يا علي؟ قال سميته حربا، فقال بل هو حسن يا علي)[٤٧]، فسماه صلى الله عليه وسلم الحسن.

وما مرت سنة حتى ولد الحسين فكانا ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحت فاطمة لكون النبي صلى الله عليه وسلم صار يأتي إلى بيتها زيادة في سرور وأنس فكان هذان الغلامان يدخلان السرور على رسول الله، يدخل إلى المنزل فيستلقي فيطلع الحسن فوق صدره والحسين على ظهره ويلعب معهما صلى الله عليه وسلم ويلاعبها .

---

(٤٧) أخرجه أحمد في مسنده عن علي، باب ومن مسند علي بن أبي طالب (١/ ٤٩٨/ ٧٦٩) دار الحديث – القاهرة – ط١ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

عن جابر قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت: نعم الجمل جملكما! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ونعم الراكبان هما) (٤٨).

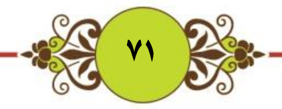
وجاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال : دخل الرسول صلى الله عليه وسلم يوما على فاطمة فرأى علي بن أبي طالب نائما والحسن والحسين يلعبان، فقال : «إني وإياك وهذا النائم - يعني عليا - وهما - يعني الحسن والحسين - لفي مكان واحد يوم القيامة»(٤٩)

تحكي أم سلمة أن رسول الله كان في حجرتها فقال ادع لي فاطمة وعلي وابنيها فدعتهم فأجلس الولدين في حجره وجعل علي عن يمينه وفاطمة عن يساره، فاشتملها وكان عنده رداء فغطاهم وتغطى معهم داخل هذا الرداء وأولى بيده إلى السماء ثم قال (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وفي رواية أنه نزل جبريل فأدخل رأسه معهم . قالت أم سلمة : يا رسول الله وأنا ألست من أهل

---

(٤٨) رواه ابن عساكر في كنز العمال، عن جابر بن عبدالله، باب فضل الحسين بن علي (١٣/ ٦٦٤/ ٣٧٦٩٣) الناشر: مؤسسة الرسالة - ط٥/ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

(٤٩) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري، باب وأما قصة اعتزال محمد بن مسلمة (٣/ ١٤٧/ ٤٦٦٤) دار الكتب العلمية – ط١/ ١٤١١ - ١٩٩٠

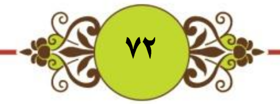




بيتك؟ قال إنك إلى خير إنك إلى خير يا أم سلمة)(٥٠) لكن هؤلاء مخصوصون بهذا الكساء فصاروا يسمون أهل الكساء . فهم أهل الشرف الرفيع وهم الذين يكونون في مكان واحد يوم القيامة بجوار الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه .

ومع هذه المكانة ومع هذه الرفعة ما كان صلى الله عليه وسلم ليدع أن يربي فاطمة دائما أن ترتفع إلى المقامات العالية وأن يعلمها وأن يهذبها. ففي مرة من المرات سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الصحابة أي شيء خير للمرأة؟ فلم يجب أحد فرجع سيدنا علي إلى المنزل وقال لفاطمة : إن أباك اليوم سألنا سؤالا لم يجب عليه أحد . قالت له : فما قال يا علي؟ قال : أي شيء خير للمرأة؟ قالت فاطمة : خير للمرأة أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فخرج سيدنا علي فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام وقد تهلل بشرا

(٥٠) أخرجه أحمد في مسنده عن أم سملة ، حديث أم سلمة (٤٤/ ١١٩/ ٢٦٥٠٨) الناشر: مؤسسة الرسالة – ط١/ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م وأخرجه الترمذي (٣٨٧١) بهذا الإسناد وقال حديث حسن.



وعرف فِقه بنته وعِلمها وذكائها قال : (بأبي ذرية بعضها من بعض، فاطمة بضعة مني)[٥١] عليهم رضوان الله تعالى .

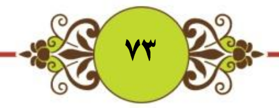
وفي يوم من الأيام أتى النبي صلى الله عليه وسلم على عادته فلما وصل إلى بيت فاطمة أمسك بعضادة الباب إذا بستارة على الباب، إذ جعلت فاطمة ستارة على باب بيتها، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه علي فقال يا رسول الله إن فاطمة اشتد عليها أنك جئتها فلم تدخل عليها، فقال : (ما أنا والدنيا) .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الستارة الخفيفة من متاع الدنيا، وهو لا يرضى لبنته فاطمة إلا أن تكون في أعلى درجات الزهد والتقشف في الدنيا والورع فيها، فقالت: فقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فما تأمرني؟ قال: «قل لها، فلترسل به إلى بني فلان»[٥٢] عليها رضوان الله تعالى .

---

(٥١) رواه البزار عن علي بن أبي طالب، (ومما روى علي بن زيد) (٢/ ١٥٩/ ٥٢٦) مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة – ط١ (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) بسند ضعيف .

(٥٢) رواه ابن حبان في صحيحه بسند صحيح عن ابن عمر ، ذكر ما مثل المصطفى (١٤/ ٢٦٦/ ٦٣٥٣) مؤسسة الرسالة – بيروت ط١/ ١٤١٤ – ١٩٩٣ .



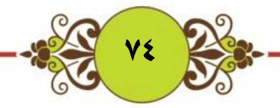
وقد أمرها في يوم من الأيام صلى الله عليه وسلم أن تجر ثوبها ذراعا يعني تجعل ثوبها من أسفل طويل ذراع كامل يسحب خلفها حتى يكون ذلك أستر لها عليها رضوان الله تعالى.

وفي مرة من المرات قال لها صلى الله عليه وسلم يا فاطمة : (ما يمنعك أن تسمعيني ما أوصيتك به من الدعاء أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) (٥٣) وكان صلى الله عليه وسلم قد أوصاها به فما سمعها تقول هذا الدعاء فأراد أن ينبهها .

هذا مِن الدعاء الذي علمه رسول الله لفاطمة ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن لا يتركوه كما ذكرت ولا أزال أكرر ينبغي أن لا ننسى هذه الوصايا النبوية المحمدية لبضعته الفاطمية فإنها وصايا خاصة يكرم بها أهلها فينبغي أن لا نتركها وأن نلاحظها دائما في أيامنا ولياليننا فلا ننساها أبدا.

---

(٥٣) رواه المقدسي عن أنس بن مالك في كتابه المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيها (٦/ ٣٠٠/ ٢٣١٩) الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – ط ٣/ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م وقال (إسناده حسن)



وفي يوم من الأيام بعد صلاة الفجر مر رسول الله على فاطمة وكانت في ذلك اليوم متعبة لأنها كانت بالليل تراعي الأطفال فهذا يبكي وهذا يوقظها وعليها عمل البيت، فلما كانت بعد صلاة الفجر اضطجعت مِن شدة التعب فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركها برجله وقال : (يا بنية قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) (٥٤) .

فأيقظها صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنها تعبة لكنه يريد لها الآخرة ويريد لها الدرجات العلى ..

وأحدنا اليوم ربما نام ولده أو بنته عن صلاة الفجر وهي فريضة فيقول مسكين تعبان أو مسكينة .

ودخل في يوم من الأيام أو دخلت عليه وفي عنقها قلادة مِن الذهب فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا لها يا بنية لا تغتري بقول الناس فاطمة بنت محمدٍ وعليك لباس الجبابرة فقطعتها لساعتها

(٥٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن فاطمة ، فصل في النوم الذي هو نعمة .. (٦/ ٤٠٤/ ٤٤٠٥) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ط١ / ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

وباعتها ليومها واشترت بالثمن رقبة مؤمنة فأعتقتها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بذلك واستبشر. [(٥٥)]

وكان بأبي هو وأمي إذا سر فكأن الشمس والقمر يجريان في جبينه ..

وكان إذا سر أضاءت من حوله الجدر مِن النور الذي يشع من وجهه صلى الله عليه وسلم.

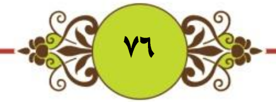
فإذا كان صلى الله عليه وسلم يسر مِن الناس فيبتهج وجهه فكيف به إذا سر من فاطمة وليس في قلبه أحب إليه منها عليها رضوان الله تعالى.

وكان يقول لها يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً..

وفي يوم من الأيام رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت فاطمة ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فنزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما، فبكى الصبيان فقسمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله

---

(٥٥) انظر كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ) (١/ ٥١) مكتبة القدسي عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية ١٣٥٦ هـ

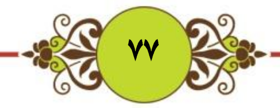


صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما فقال: " يا ثوبان، اذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة، واشتر لفاطمة قلادة مِن عصب وسوارين من عاج؛ فإن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا "[٥٦].

عرف أن فاطمة قد لمحت منه ذلك فسر صلى الله عليه وسلم أن بنته تدرك هذه المعاني وأنها بلغت إلى أن لا تحتاج إلى أن يوصيها أو يعلمها من بليغ ما كان يربيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خرج صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام يحضر جنازة أحد المسلمين فلما رجع قال الصحابي الذي روى الحديث كما في مسند أحمد فلما رجعنا إذا امرأة قائمة على الباب، قلنا لا يعرفها لأنها كانت متحجبة حجابا كاملاً حتى لا يرى منها شيء. فلما وصلنا قال من أين أتيت يا فاطمة؟ فإذا هي فاطمة بنته وقد عرفها صلى الله عليه وسلم، فقالت يا رسول الله لقد " (ذهبت إلى أهل الميت فترحمت الله لهم في ميتهم

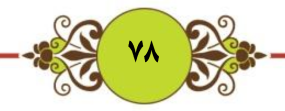
(٥٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ثوبان مولى رسول الله، ومن حديث ثوبان (٣٧/ ٤٦/ ٢٢٣٦٣) مؤسسة الرسالة ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م



وعزيتهم فيه) [٥٧] ففرح صلى الله عليه وسلم مِن أنها كانت تقوم بحقوق المسلمين تواسي هذا وتراعي هذا عليها رضوان الله تعالى .

وعن ابن عباس أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من يهودي ثلاثة آصع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمدٍ مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه باتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا وضعوا الطعام بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال يتيم من أيتام المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئا إلا الماء فأصبحوا صياما فلما أمسوا وضعوا الطعام ليفطروا فوقف عليهم سائل وقال أسير من أساري المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا ولم

(٥٧) رواه الحاكم في المستدرك عن عبدالله بن عمرو، كتاب الجنائز (١/ ٥٢٩/ ١٣٨٢) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١/ ١٤١١ - ١٩٩٠



يذوقوا إلا الماء فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم يرتعشون كأنهم الفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني مما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذ يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة [٥٨].

وأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات يقول الله سبحانه وتعالى في وصف هذا البيت ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧ – ١٠] هذا هو وصفهم فبماذا قابلهم ربهم ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١١ – ١٢] إلى آخر الآيات المشهورة من سورة الإنسان .

(٥٨) رواه الثعلبي في تفسيره من حديث القيم بن مهرام عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس ومن حديث محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) قال مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

– انظر تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠١) دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

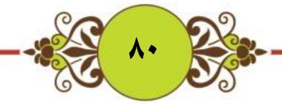
أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم وامتدحهم في هذا الإيثار الذي بلغوا به مبلغا عظيما مِن معاملة الله سبحانه وتعالى لكنا إذا عرفنا إن هذه تربية محمد لم نتعجب ، فإنه إذا عرف السبب بطل العجب، فإذا كان المربي هو الذي رباه ربي سبحانه وتعالى فلا نتعجب إذا كانت فاطمة وهي أشبه الناس خَلقا وخُلُقا برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون منها مثل هذه المكارم عليهم رضوان الله تعالى.

في يوم من الأيام كانت فاطمة في جوعها وعندها كسرة خبز فأرادت أن تأكلها فتذكرت أباها فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذا؟» قالت: قرص خبزته، فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فسر صلى الله عليه وسلم وقال يا فاطمة «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام» (٥٩) ..

سبحان الله كيف كانت تحس به وتحس بجوعه وتتألم لآلامه عليها رضوان الله تعالى .

---

(٥٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك (١/ ٢٥٨/ ٧٥٠) : مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط .٢ قال الهيثمى (١٠/ ٣١٢) : رواه أحمد والطبرانى، ورجالها ثقات.



هذه سيدة نساء العالمين .. سيدة أهل الجنة .. إذا أكرمنا الله ودخلنا الجنة فإنها سيدتنا وهي سيدتنا هنا في الدنيا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه السيدة الكريمة في الدنيا والآخرة يمضي عليها ثلاثة أيام لا تأكل الطعام وتؤثر أباها وتؤثر الفقير وتؤثر المسكين وتؤثر اليتيم وتؤثر الأسير عليها رضوان الله تعالى .

فأين نحن من هذه المكارم ومِن هذا الصدق في أداء حق الله سبحانه وتعالى وحق إخواننا المسلمين في كل مكان .

مرضت السيدة فاطمة فخرج صلى الله عليه وسلم يوما مِن المسجد ومعه بعض أصحابه فقال له هل لك في عيادة فاطمة بنت محمد فقد مرضت ؟ فجاءها صلى الله عليه وسلم ودخل عليها فلما رأته قبلته بين عينيه وقبلها بين عينيها وجلس عندها عليه الصلاة والسلام وهي مريضة، قال لها يا فاطمة ماذا تشكين؟ فذكرت له أنها تشكو بعض الآلام ، وتشكو فقرها كذلك، فلا زال يصبرها ولا زال ويذكرها الدار



الآخرة ويخبرها بالفضل العظيم والأجر، وبالاختصاص الذي اختصها الله به [٦٠] .

أنها سيدة نساء العالمين عليها رضوان الله تعالى .

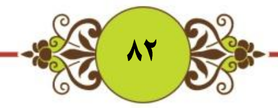
انتظر الصحابة الأذان في المسجد في صلاة مِن الصلوات وفرض من الفروض ورسول الله والصحابة ينتظرون وبلال المؤذن تأخر .. ما الخبر ؟ جاء بلال فلما دخل قال له رسول الله يا بلال ما الذي أخرك؟ قال يا رسول الله : مررت بفاطمة وهي تطحن، والصبي يبكي، فقلت لها: إن شئت كفيتك الرحا ، وكفيتني الصبي، وإن شئت كفيتك الصبي، وكفيتني الرحا. فقالت: أنا أرفق بابني منك، فذاك حبسني، قال: "فرحمتها رحمك الله "[٦١]

وكان بلال كثيرا ما يمر على الحسن والحسين يقبلها وكان شديد المحبة لهما مِن محبة جدهما صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(٦٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند ضعيف عن معقل بن يسار (٣٣/ ٤٢٢/ ٢٠٣٠٧) مؤسسة الرسالة – ط١ / ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٦١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ، باب مسند أن بن مالك رضي الله عنه (١٩/ ٤٩٩/ ١٢٥٢٤) الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م



ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت فاطمة على عادته فوجد عليا وفاطمة يطحنان ويشتغلان فقال صلى الله عليه وسلم مَن منكما أصابه الإعياء يعني من منكما أكثر تعبا من الآخر فقال سيدنا علي إنها فاطمة يا رسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم عنها الرحى وأخذ يطحن عنها عليه أفضل الصلاة والسلام.

ما هذا الوداد ؟

ما هذه الملاطفات ؟

ما هذه الحياة الكريمة؟

لو تخيل الإنسان وسبح بخياله في داخل هذه الحجرة وفي داخل هذا البيت لرأى العجائب.

هذه الابتسامات ..

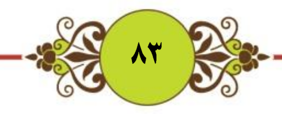
وهذه الملاطفات ..

وهذه المحبة ..

إنها لحياة عجيبة وحياة غريبة تكتنفها آلام وإيمان كامل وسرور

كيف جمع الله سبحانه وتعالى ذلك؟ إنه الاختيار ..

إنه الاصطفاء ..





إنه الاجتباء منه سبحانه وتعالى .

مرت هذه السنوات وجاءت أيام فتح خيبر ، وبدأ الفتح يتسع وجاءت السنة الثامنة وإذا بالهموم تأتي ، لا تزال فاطمة ولا يزال الحبيب يعانون ابتلاءات مِن الحق سبحانه وتعالى لكن ذلك لرفيع الدرجات عند الله .. تمرض زينب ويشتد بها المرض ثم يتوفاها الله سبحانه وتعالى ويدفنها رسول الله بجانب أختها رقية.

تخرج فاطمة فتبكي على أطلال أختها وتأخذ أمامة وتأخذ عليا أبناء زينب فتحرص على تربيتهما وعلى العناية بهما عليها رضوان الله تعالى.

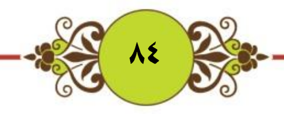
وما هي إلا سنة وتأتي السنة التاسعة وإذا أم كلثوم يتوفاها الله سبحانه وتعالى، فبقيت فاطمة وقد فقدت أمها وفقدت رقية وفقدت زينب وفقدت أم كلثوم .

إنه البيت الذي كانت تضحك فيه ..

وكانت تجالسهن وتزاورهن ..

لقد فقدت بيتها ولم يبق لها إلا أبوها صلى الله عليه وسلم ..

هو ذكراها من أيام مكة ..



ولم يبق لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بنيه إلا فاطمة ..

خفف الله سبحانه وتعالى عليه بعض الآلام عند وفاة أم كلثوم أن كانت مارية القبطية وكانت مولاةً عند رسول الله حاملا فوضعت له ولدا فسر رسول الله وسر المسلمون كلهم في المدينة بأن رسول الله قد رزق ولدا، ولكن ما طال به المقام ففي السنة العاشرة قبل وفاة رسول الله توفي إبراهيم وبكى رسول الله عليه ودمعت عيناه وقال (إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك لمحزنون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون)[٦٢] ..

حزنت الزهراء ..

فقد أبوها كل أبناءه وما بقي له إلا هي

صارت هي الأبناء وهي العائلة وهي الأسرة وهي الأنس .

صارت هي التي تخفف الآلام .

وصارت هي جليسة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت معه في كل أحوالها.

حضرت معه البيعات.

---

(٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك (٢/ ٨٣/ ١٣٠٣) دار طوق النجاة ط١/ ١٤٢٢هـ

وحضرت معه المباهلة.

ولما أنزل الله ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] خرج رسول الله ومعه علي والحسن والحسين وخلفها فاطمة فلما رآهم نصارى نجران رعبوا من هذه الوجوه النيرة حتى قال بعضهم: والله لقد رأيت وجوها لو سألوا الله أن يزيل هذا الجبل من مكانه لأزاله سبحانه وتعالى في علاه.

مرت هذه السنوات والحياة الدنيا تقترب مِن الانقضاء ويمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع بعد أن حجت معه فاطمة وحج معه علي وحج الصحابة وحجت زوجاته صلى الله عليه وسلم ، ورجعوا إلى المدينة فبدأ حزن فاطمة ، يقول لها علي ما بالك يا ابنة رسول الله؟ تقول يا ابن أبي طالب إني والله لأحس أن الأجل قد اقترب مِن أبي.

وبدأ الحزن يغزو قلبها ماذا يحمل هذا القلب ؟

لله ما يحمله هذا القلب الشريف ..

آلام تمضي والألم الأكبر الذي لا تتخيله يتسلل شيئا فشيئا.. إن كانت قد فقدت أولئك المحبوبين وهم أعزة عليها فهذا المحبوب الأعز وهذا المحبوب الأكبر إنه رسول الله وأبوها وهو كل شيء في حياتها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم :

فلما مرض وجلس في بيت عائشة يُمرَّض كان يُغشى عليه صلى الله عليه وسلم من شدة المرض، ولما رأته في يوم من الأيام وهذه الغشيات تأخذه صاحت وقالت وا كرب أباه فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم يا فاطمة فلما مات نعتته فقالت : يا أبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه مَن جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[٦٣]

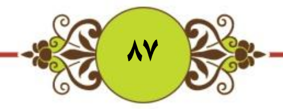
ما قالت إلا خيرا رضي الله عنها.

كيف ثبتت ..

سبحان الذي ثبتها وهي أكثر الناس محبة له وأكثر الناس محبة عنده صلى الله عليه وسلم .

---

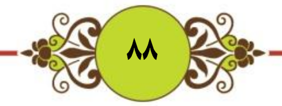
(٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم (٦/ ١٥/ ٤٤٦٢) دار طوق النجاة ط١/ ١٤٢٢هـ



تقول السيدة عائشة كنا زوجات رسول الله عند رسول صلى الله عليه وسلم فقال ادع فاطمة فإنها أنسه فوق كل أنس فجاءت فاطمة والله ما تخطي مشيتها مشية رسول الله وإنها لأصدق الناس لهجة وأشبه الناس به في كل شيء؛ سمتا وقولا وخلقا وكلاما ووجها . فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فابتعدن الأزواج عنه قليلا فأدنى بنته فاطمة فسارها في أذنها بكلام فإذا بفاطمة تبكي ثم أدناها فسارها أخرى فضحكت، تقول السيدة عائشة: عجباً ما رأيت ضحكاً أقرب إلى بكاء مِن هذا اليوم! كيف بإنسان يبكي ويضحك مباشرة هكذا !! .. فتعجبت وأخذت تقول لفاطمة : ما قال لك أبوك، قالت والله ما كنت لأفشي سر رسول الله، وبعد أن توفي الحبيب سألتها بحقي عليك يا فاطمة إلا ما أخبرتيني ماذا قال لك أبوك ؟ قالت إنه لما سارني في المرة الأولى قال : يا فاطمة إن جبريل يدارسني القرآن في كل عام مرة ولقد دارسني في رمضان هذا العام مرتين وإنه قد دنا مني الأجل وإني ميت من مرضي هذا فبكيت، ثم قال : لي أما ترضين يا فاطمة أن تكوني سيدة نساء العالمين وأن تكوني أول أهل بيتي لحوقا بي[٦٤] ففرحت فاطمة، وهي

---

(٦٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٩٠٥/ ٢٤٥٠) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت



التي لا تطيق الحياة بعد ذلك فقد فقدت أمها وأخواتها واليوم تفقد هذا الحبيب فكيف تستطيع أن تعيش بعده وقد تقطعت أكبادها رضي الله عنها.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكته ونعته وقالت لأنس لما رجع من دفن رسول الله جاء فأقبل عليها فنظرت إلى أنس وعليه أثر الغبار، قالت يا أنس ما صنعتم؟ قال دفنا رسول الله، قالت أطابت أنفسكم يا أنس أن تحثو التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟[٦٥] قال لها والله يا بنت رسول الله ما ندري ما صنعنا فو الله ما أن وضعناه وأهلنا التراب حتى أنكرنا أنفسنا، فأقبلت تمشي حتى جاءت إلى قبر أبيها فوضعت يدها على القبر وعلى التراب ثم مسحت عينيها وقالت:

مـــاذا عـــلى مـــن شـــم تربـــة أحمـــد

أن لا يشـــم مـــدى الزمـــان غواليـــا

صـــبت عـــلي مصـــائب لـــو أنهـــا

صـــبت عـــلى الأيـــام عـــدن لياليـــا

---

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم (٦/ ١٥/ ٤٤٦٢) دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ





وأنشدت تقول :

أغــــبر آفـــاق الســـماء وكـــورت

شــمس النهــار وأظلــم العصـــران

فـــالأرض مـــن بعـــد النبـــي كئيبـــة

أســـفا عليـــه كثـــيرة الرجفـــان

فليبكـــــه شرق الـــــبلاد وغربهـــــا

وليبكـــــه مصـــــر وكـــــل يـــــمان

يـــا خـــاتم الرســـل المبـــارك ضـــوءه

صـــلى عليـــك منـــزل القـــرآن

وأصيبت فاطمة بما لم يصب به غيرها عليها رضوان الله تعالى وما رئيت بعد رسول الله مبتسمة قط وقد كانت كثيرة التبسم مثل أبيها صلى الله عليه وسلم لكن بعد رسول الله ما عرفت الابتسامة قط .

اشتد بها المرض وتقطعت أكبادها واحترقت احشاؤها شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت صغيرة في السن في التاسع



والعشرين من عمرها ولكنها في هذا العمر الصغير كم حملت وكم صبرت وكم تحملت ؟

فمنذ الخامسة مِن عمرها وهي تجاهد، وهي تتحمل، وهي تجد النصب، وهي تجد التعب، وكم تجد في نفسها رضي الله عنها فما أحبت أن تبقى في الدنيا بعد أبيها وقد بشرها أنها تكون أول أهل بيته لحوقا به، فما مضت ستة أشهر حتى اشتد بها المرض وكانت تجلس إليها أسماء بنت عميس وفي ليلة من الليالي بكت فاطمة فقالت أسماء بالله ما يبكيك يا بنت رسول الله ؟ قالت : يا أسماء إني رأيت ما يفعل بالنساء إذا متن، يوضع عليهن الثوب فيحكي أجسادهن

.. سبحان الله .. على ماذا رباك أبوك؟

لقد رباها على الحياء .

إنها تستحي إذا توفيت أن يضعوا الثوب على جسدها فيحكي جسدها.

إلى هذه الدرجة يا فاطمة؟

أين نساء اليوم لكي يسمعن ذلك.



يا من فقدن الحياء إن فاطمة لتستحي أن يظهر تشكيل جسدها وهي في كفنها وعليها الساتر فأين نحن وأين هم؟

فقالت لها أسماء ؟ إني قد رأيت في الحبشة يجعلون على النعش الذي يحملون عليه الميت يجعلون أقواسا ويضعون عليه الثوب فيسترها فيكون مثل القبة على هذا النعش الذي يحمل عليه الميت، ففرحت فاطمة فرحا كبيرا وقالت أوصيك يا أسماء أن تصنعي بي مثل ذلك.

فرحت بذلك فرحا عظيما عليها رضوان الله تعالى ثم دعت علي بن أبي طالب فأوصته بثلاثة وصايا قالت له يا علي : ما أظن إلا أن الأجل قد دنا وأني لاحقة بأبي وأمي فتأثر سيدنا عليه ودموعه تغرغر في عينه وهو يمكسها ويثبِّت نفسه، فهو الذي قد كُلِمَ برسول الله واليوم يُكلَمُ بفاطمة فماذا يطيق قلبه؟

أنه لا يتحمل مثل هذا ولكنه أمر الله وقضاء الله سبحانه وتعالى.

ويبكي الصبيان الغلامان اليافعان يبكيان على أمهما الكريمة تقول لعلي أوصيك إن أنا مت أن تتزوج أمامة بنت أختي زينب، فتزوجها علي بن أبي طالب ولم ينجب منها أحد وأرادت سيدتنا فاطمة أن يكون هذان الغلامان الحسن والحسين وكذلك زينب وأم كلثوم تحت

تربية سيدتنا أمامة، فإن سيدتنا فاطمة قد أنجبت زينب وأنجبت أم كلثوم وكأن النبي صلى الله عليه وسلم سمى زينب وسمى أم كلثوم ذكرى لزينب وأم كلثوم أخواتها وكانت رضي الله عنها تشم في هاتين البنتين بنتها زينب وأم كلثوم فأنهن يذكرنها بأخواتها اللاتي فقدتهن عليهن جميعا سلام الله سبحانه وتعالى.

إذا ذكرناهن اهتزت قلوبنا.

أنه البيت الذي جاهد في سبيل الله.

وها هي تودع وتقول يا علي إذا أنا مت فاغسلني ولا يغسلني أحد غيرك، فغسلها هو وأسماء بنت عميس زوجة أخيه جعفر.

وقالت له إذا دفنتني فادفني بليل .

إنها تطلب التواضع..

إنها تطلب الخفاء حتى في ساعة وفاتها ..

لا تحب الشهرة لا تحب الظهور..

لا تحب أن يجتمع الناس..

بل إنها تحب الخفاء والستر والتواضع لأن فيها من خصال أبيها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

وتنقضي الحياة وتفارق فاطمة الدنيا وينقضي عمرها

تسعة وعشرون عاما ..

يا لله من تلك الأعوام ..

كأنا نتحدث عن قرون ..

كأننا نتحدث عن خلق كثير ..

إنها امرأة حملت في طيات حياتها هموما ..

وأحزانا ..

وجهادا ..

وعلما ..

ومعرفة ..

وأنوارا ..

وأسرارا..

وخلفت لهذ الأمة أعظم ما يخلفه الإنسان

لقد خلفت آل بيت رسول الله ..

خلفت العترة الطاهرة ..

خلفت الأنوار والصدق ..

خلفت الهدى ..

خلفت الدعاة ..

خلفت الذين تستضيء الدنيا بنورهم إلى هذا اليوم. .

أنهم بركتها ..

إنهم ذريتها ..

إنهم عترتها الذين دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم الكثير الطيب الذي يهتدي بهم المهتدي، هم كسفينة نوح ..

هم كالنجوم في السماء يهتدي بهم الضال في ضلاله ..

هم النجاة ..

محبتهم دين وبغضهم كفر والعياذ بالله تعالى ..

لقد انقضت أيامها وما انقضت بركاتها ..

وما انقضت خيراتها ..

ولا انقضت سيرتها ..

ذكرنا سيرة الزهراء لعلنا نستفيد منها ولعلنا نأخذ منها عبرا ونستفيد منها أفهاما ونتذوق منها مواجيد تفيدنا في حياتها وتفيدنا في دنيانا وتفيدنا في أخرانا .



هذه حياة فاطمة ..

أما يوم القيامة فلقد جاءنا في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ، يا أهل الموقف نكسوا وغضوا أبصاركم فإن فاطمة بنت محمد تمر على الصراط وتدخل الجنة، فيطأطئ أهل الموقف كلهم الرؤوس ..

من هذه التي سيطأطئ الخلائق كلهم رؤوسهم ويغضون أبصارهم تعظيما واحتراما لها ؟

إنها فاطمة بنت محمد ..

تمر ومعها ركب من الأمة ..

ومعها من المحبين لها وبنيها ..

جعلنا الله من الداخلين في هذا الوفد الكريم والواردين على حوض رسول الله العظيم والداخلين إلى جنات النعيم آمين آمين يا رب العالمين والحمد لله رب العالمين ..

الفهرسة

